ترجمـــة ابـــى يعقـــوب البـــادســـى

ننشـر هنا مخطوطـــا فى مناقب أحد الافذاذ فى أواخـــر القرن السابع، وأوائل القرن الثامن الهجـــرى وهو أبو يعقـــوب البادسى الذى قال فى حقه ابن خلدون ، أبو يعقوب البادسى أكبر الاولياء، وآخرهم بالمغـــرب .

وذكره لسان الدين ابن الخطيـــب فى كتابه «انتفاضـــة الجراب» فقال أنه ولى الله تعالى، ووصفه بأنه الامـــام الكبـــير والعارف الشهـــير .

وناهيك أن مؤلف المخطوط هو قاضى الجماعـــة بفاس، أبو محمد عبد الله الاوربى .

وتظهر قيمته التاريخية من عرضه بأسلوب مبسط للحياة العامة فى ذلك العصر حيث أتاح لنا التعرف على الحياة الاجتماعية فى ذلك التاريـــخ .

كتاب مناقب ابى يعقوب الزهيلى البـــادسى
الـــمـــتـــوفى عـــام 734 هـ.

بسم الله الرحنم الرحيم وصلى الله على سيدنا محمو وآلـــه وصحبه وسلم تسليمـــا .

قال الشيخ الفقيه المحقق الاثبت الامنى الازكى، القاضى الاعدل أبو (1) محمد عبد الله بن محمد الاوربى، رحمه الله تعالى ورضى عنه آمين، بالله أستعين وعليه أتوكل، ومنه أطلب العون على ما اورمه من جمـــع ما سمعته منذ قدمـــت على مدينة بادس، حرسهـــا الله تعالى وكلأها، من أحوال قطب زمانه ونسيج وحده وشيخ أوانه، الشيخ الولى العارف العامل المنقطع لله تعالى، أبى يعقوب يوسف بن محمد الزهيلى، رحمه الله ونفع به فى حال بدايته ونهايته، وكيفية نشئته وقراءته، وذكر شيوخه وافادته فى علمى الظاهر والباطن .

---

(1) ترجمة المؤلف محمد عبد الله بن محمد الاوربى :

هو الشيخ الفقيه الجليل الصدر العظيم الوجيه العالم المفتى، قاضى اجماعة بفاس، أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الاوربى.

وكان فقيها فاضلا عارفا بعقد الشروط، قاضيا نزيها قريب الغور بعيد الشأو، حسن الظن، محبا فى الصالحين، يذكر كراماتهم واحوالهم، عارفا بأحوال أهل زمانه خاصة وعامـــة، وتواريخهم وانسابهم، كثـــير الحكايـــات فى مجالســـه .

تلامـــذتـــه: أخذ عنه الشيخ سيـــدى يحيى السراج الكبـــير، وأبو الوليد اسماعيل ابن الاحمر، وأورده فى فهرستيهما، وغيرهما ولـــه فتـــاوى فى المعيـــار .

ولادتـــه ووفاتـــه: ولد عام 701 وتوفى ليلة الاثنين 16 ذى القعدة عام 782 وذكر ابن الاحمر ان وفاته بفاس .

وبعض أحواله فى رحلته الى المشرق، واذكر من ذلك ما تظافـر الجمع الغفير على نقله، أوما سمعت ممـن اثق بدينه وعدله، وقصـدى تقييد ذلك وجمعه، استدرارا لرحمة الله سبحانه، لما جـاء عن العلمـاء، انهم قالوا عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ولاشك ولاخفـاء أن ذكـر الصالحين، وذكر أحوالهم، بحكاية مناقبهم، ومعاملتهم لله تعالى، مما يرق القلب ويزيل قسوته، وتلك الرأفة هى علامة نزول الرحمة، فنسأل الله جل وعلا أن يمنحنا مما منحهم، ويرزقنا مما رزقهم، بمنه وفضله انـه ولى ذلك، والقادر عليه، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

ذكر نسب الشيخ ومولده ووفاته وشيوخه وقراءته ونبذ من أحواله فى حال بدايته، رضى الله عنه ونفعنا به آمـين .

هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن علال بن منصور بن سعيـد ابن عبد الله بن سعيد بن تميم الزهيلى، وولد رحمه الله ونفع به يـوم الثلاثاء السابع عشر من شهر الله ذى الحجة، من عام أربعين وستمائة، بالدار التى كان بها سكناه ببادس المحروسة، وتوفى رحمه الله نصف ليلة الثلاثاء الحادى عشر شهر الله ربيع الآخر، عام أربعة وثلاثين وسبعمائة، وذكر لى أنه كان يقول ولدت يوم الثلاثاء ويعلم الله يوم الثلاثاء أمـوت فكـان كذلـك .

أمير مدينة النكور يبحث عن الفقيه عبد المالك بن حبيب :

حكى عن الثقات ان الفقيه عبد المالـك بن حبيب قدم على بـلاد الريف، فكان بها خائفا مختفيا اذ كان أمير بلد النكور يبحث عليه فاستقر عند أسلاف الشيخ، بموضع يقال له بنو خالص فآووه واسكنوه فى بيت هو الآن بان لم يتغير منه الا سقفـه، وأهل ذلك الموضع يتبركون بذلـك البيت الذى كان به سكنى الفقيه عبد المالك المذكور رضى الله عنـه .

بعد أن كان بعض أهل تلك الجهات طردوه عن أنفسهم فبقى عند اسلاف الشيخ مكرما ملحوظا الى أن انصرف عنهم، فدعالهم، وقال بجدى الشيخ سيدى ابى يعقوب جعل الله البركـة فى عقبك الى يوم الديـن، ودعا على أوئك القوم الذين طردوه، كان أمرهم بعكس ذلك، وكان الشيخ

سيدى أبو يعقوب رضى الله عنه يقول، وجدت بركة الشيــخ أبى يحيى اجروم، حملنى اليه والدى وأنا صغير، فوضع يده على رأسى، وقال لـــى رزقك الله العلم والعمل به وحدثنى من اثق به أن الشيخ رضى الله عنـــه قال لما دخلت الكتاب كنت اذا وضعت اللوح من يدى اسمع شعرة بمقدم رأسى، تقول الله الله الله، لا تزال كذلك حتـــى أرجع الى لوحى، وقـــرأ الشيخ القرآن على المعلم الصالح اسماعيل بن احمد الخزرجى، فحفظـــه وجوده بحرف نافع، وفى العربية واللغة والادب على الاستاذ ابى القاســـم الاندلسى، وحدثنى غير واحد أن الشيخ كان يقول حين يزور قبر سيدى ابى على الطنجى، المدفون فى المصلى خارج بادس، الذى يقال عنـــه انـــه قطب قرأت على هذا الشيخ العربية، وقرأ الشيخ سيدى أبو يعقوب الرسالة أيضا، وتهذيب البرادعى على الشيخ العالم الولى أبى زكرياء، هذا قـــرأ بقرطبة أربعين سنة، ثم رجع الى الريف، فظهر له علم جم، وولاية وأحوال صالحة، حدثنى عن سيدى أبى يعقوب أنه قال، كنت أسوق الماء، لسيدى ابى زكرياء لوضوئه أيام قرائتى عليه، فكنت اذا اتيته ليلا بالماء، أجـــد فى بيته نورا ساطعا، وقرأ الشيخ أيضا سيدى أبو يعقوب ببادس تهذيـــب البرادعى على سيدنا الفقيه العالم الولى المجاب الدعوة أبى ابراهيـــم اسحاق بن يحيى الورياغلى الاعرج، ثم رحل معه من بادس الى مدينـــة فـــاس، وسكن بمسجـــد سيدى ابراهيـــم. المحمل على الصابة الكائـــن بقصر البليدة، بالغرفة التى بقبلى المسجد المذكور، وتفقه عليـــه مـــدة وقرأ أيضا بمدينة فاس موطأ مالك، رحمه الله تعالى ورضى عنه، على غاضيها وامام الفريضة بجامع القرويين ابى جعفر احمد بن الشيخ الفقيه العلامة امام الفريضة بالجامع المذكور أبى عبد الله المزدعى، حدثت أن ولى الله تعالى سبحانه أبا البركات الطراز من أهل فاس، وكان رجلا معمرا، قد زمن وعمى فى آخر عمره قال للحاج محمد التسولى سلم على الشيخ أبى يعقوب، وقل له الامارة بينى وبينك انطفاء الصبيحة فى مجلس الفقيه أبى جعفر المزدغى، قال الشيخ التسولى فجئت الى الشيخ، وقال له ذلك فتبسم، وقال لى رد عليه السلام، فلما رجعت الى مدينة فاس، دخلت عند سيدى أبى البركات، فقلت له سيدى أبو يعقوب يسلم عليك، وقد بلغته الذى قلت لى، فتبسم، وقلت له سيدى أخبرنى بخبر الصبيحة،

فقال لى سر أولياء الله لا يفشى، وهم احياء، قال فسكت، وانصرفت، فلما مات سيدى أبو يعقوب دخلت عند سيدى ابى البركات، فتذكرت القضية، فقبلت يده، وقلت له يا سيدى سألتك بالله الا ما أخبرتنى بقضية الصبحية، وقد مات سيدى أبو يعقوب، قال فتبسم، وقال ما أكثرك تبحث كنت جالسا فى مجلس الفقيه ابى جعفر المزدغى، والشيخ أبو يعقوب بازائى، فاذا بالصبحية التى يقدؤ اليها القارىء قد انطفأت، فلم يجد القارىء ضوءا يقرىء اليه، فاذا بنور قد استنار من الشيخ أبى يعقوب، وعم على الصبحية حتى قرأ اليه القارىء، هذه قصة الصبحية، قال مؤلف هذا الكتاب، رأيت فى لطائف المنى فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى، وشيخه ابى الحسن، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى ورضى عنه، لو كشف اليسير من نور المومن العاصى لطبق ما بين السماء والارض، فاذا كان المؤمن العاصى كذلك، فما ظنك بنور المومن المطيع، فلو كشف الحق سبحانه عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه، لانطوى نور الشمس والقمر فأين لنور الشمس والقمر من أنوارهم، الشمس والقمر يدخل عليهما الكسوف والغروب، وأنوار قلوبهم لا كسوف لها ولا غروب، قال مؤلف هذا الكتاب، كنت أزور الشيخ الولى سيدى أبا البركات الطراز قبل موته بالصفارين القدماء من فاس المحروسة، وأتردد اليه وأتبرك به، وكان بى فى قلبه موضع والحمد لله وشاهدت منه الكرامات كثيرا، وحضرت دفنه بالجيزيين، قال مؤلف هذا الكتاب غفر الله له .

رجوعه من فاس الى بادس :

وبعد ذلك رجع الشيخ سيدى أبو يعقوب من مدينة فاس الى بادس، وقد حصل من العلم الظاهر جزءا عظيما، وظهر عليه خير عظيم، ولاحت له بوارق الحق فاعتزل بنفسه بالرابطة التى على ساحل البحر خارج مدينة بادس، وهى التى ادخلت الآن بدار الصنعة، واخذ فى المجاهدة والعبادة والانقطاع الى الله تعالى .

شيوخه فى علم الباطن :

هؤلاء شيوخ سيدى أبى يعقوب فى علم الظاهر :

واما اشياخه واستاذه فى علم الباطن، وطريق الارادة فامام الطريقة وشيخ الحقيقة الولى العارف الكبير أبو الحجاج يوسف الاقصورى، من الاقصور قرية من قرى قوص، وله هناك زاوية عظيمة، وتلامذة بالبلاد كثيرون، حكى لى غير واحد ان الشيخ سيدى أبا الحجاج الاقصورى، لما حضرته الوفاة قال له اصحابه يا سيدى من يجلس للناس مكانك، فقال لهم ان الله سبحانه استخلف عوضا منى صبيا بأقصى المغرب، اسمه يوسف بن محمد، بمدينة على ساحل البحر يقال له بادس، وهو الآن من أربعة أعوام، وفى هذه السنة يأخذ المكتب، فاذا كان أوان تربيته فلينصرف اليه احدكم، ويربيه وينهج له طريق الارادة، حدثنى الحاج ابو العباس احد الكماد قال سمعت سيدى أبا يعقوب يقول، رأيت فى المنام فى بداية أمرى، كأنى مت ثم ردت الى روحى، فاذا أنا بثلاثة رجال فى زى الفقراء الاعجام، قد خرجوا الى من البحر، ووقفوا على، ثم جاءنى أحدهم، وقال لى مرحبا بمن كان ميتا فأحييناه، وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس، قال فقلت له يا سيدى من أنت، قال فقال لى أنا أبو الحجاج الاقصورى، قال الحاج المذكور، فلما توجهت الى البلاد دخلت الاقصور، ثم جئت الى مصر، واجتمعت مع سيدى كمال الدين حفيد سيدى أبى الحجاج الاقصورى بزاوية بمصر، وذكرت له انى من بادس، سألنى عن سيدى أبى يعقوب، فذكرت له عن الرؤيا التى حدثنى بها سيدى أبو يعقوب الى أخرها، فقال سيدى كمال الدين وقال له سيدى أبو الحجاج وان الله قد استخلفك مكانى، قال الحاج احمد، فقلت لسيدى كمال الدين ياسيدى ما سمعت أنا ذلك منه وانما سمعت الناس يقولونه قال فقال لى سيدى كمال الدين، أنا سمعته من سيدى أبى يعقوب فى تلك الخلوة يشير الى خلوة كان ينزل بها سيدى أبو يعقوب حين توجه الى الحج، قال الحاج احمد، وسيدى أبو يعقوب بالبلاد مشهور، كما هو هنا بالمغرب، قال مؤلف هذا الكتاب، حدثنى أبو عبد الله محمد بن على بن مغيث، قال سمعت سيدى أبا يعقوب يقول يعلم الللهِ من يرد الله أن يشهره ما يقدر فى نفسه بشىء، كنت حين سافرت الى المشرق أخفى نفسى غاية، وأركب حمارا اشتريته بدينارين غير ربع، وكان يصلى بنا فى الركب رجل من أهل الركب، فاذا برجل يقول

للناس ما نصلى الا خلف صاحب ذلك القيطون، فانى رأيت نورا ساطعــا يصعد من قيطونه، قال فاشهرنى عند أهل الركب، بعد أن كانوا لا يعرفوننى قال مؤلف هذا الكتاب، رأيت فى كتاب مناقب الاولياء وكرماتهم لسيــدى الولى الكبير أبى الحسن على بن محمد المراكشى، قال سكنت بقوص مرة فذكر لى عن رجل ولى بالاقصور، اسمه يوسف، ويعرف بأبى الحجــاج الاقصورى، فكنت أريد أن أزوره، فتخلفت عن زيارته أياما، فنمت يوما، فسمعت قائلا يقول، قم يا على الى الشيخ يوسف، لانه قد خرج ليجتمع بك، فلم يكذب، فخرجت لنلتقيه أو نصل اليه الى منزله زائرا، فمشيت على ساحل النيل حتى وصلت الى موضع التعدية، فلم أجد المعــــدى الذى يعدى بالناس، فقعدت على جانب النيل منتظرا لصاحب المعدية، فاذا أنا برجل قد أقبل من الجانب الاخر، وبيده عصا، فرمى برجليــه على الماء وصار يمشى ويحط بعصاه على الماء، حتى وصل الى فبهت فى كرامات الاولياء، ولن (كذا) منه فنظــر الى وأخذ باذنى وقبلها، وقــال لى يا على لا تتوارن عن زيارة الاولياء، ولا تحجبك نفسك عن مقاماتهم بتسويفها لك، فقبلت رجليه، وقلت يا سيدى من أنت، قال أبو الحجاج الاقصورى، قال ثم قال لى ارجع الى مكانــك، قال فبكيت، وقلت لــه يا سيدى بعد موعظة شافية، فقال نعم يا على عليك بمحاسبة نفســك ومن (كذا) اياها فانها مهلكة الرجال، ثم قلت يا سيدى زدنى، قال عليك بالصمت بين يدى العلماء، ثم قلت يا سيدى زدنى، قال بالتواضع وتــرك الدعوى، قال ثم تركنى ورجع الى حاله، قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه دخلت صنهورة وهى بمقربة من الاسكندرية بينهما مسيرة يوم وبعض آخر، فأويت الى مسجد آخر البلد، فاجتمع حولى فقراء بغــير اختيــارى فضيقوا على وقتى فى العبادة، فعزمت على الانتقال الى بلــد آخر، فلما كان العشاء الاخيرة دخل علينــا المسجد رجل فأخذ بيــدى، وأخرجنى والفقراء مكانهم، وقال لى امش معى فحملنى الى منزلــه، وصعد بى الى غرفة ليس فيها الا حصيرة من الحلفاء، فأقعدنى عليها، ثم دار فى زاوية الغرفة فأحضر بين يدى عسلا ولبنا معقودا وخبــزا حــارا، فواكلنى، فلــم أتهن من أجل الفقراء الذين تركتهم فى المسجــد

فرأى الرجل عندى قبضا، فقال لى كل فانك طلبت الخلوة وحدك، وهذه خلوة لا تجد مثلها، فتعجبت منه فى مكاشفة فيما كان عندى، فأكلت حتى شبعت، وشكرت الله تعالى، وقال لى أدع لنا الآن، فان دعاء الضيف مستجاب، فدعوت وأمن ثم سألت عن اسمه، فقال اسمى ضرغام ابن مخلوف، فقلت ما حرفتك، قال لى خراز، فقلت من دلك على، قال لى رجل، فقلت له من ذلك الرجل، فلم يعلمنى، فعلمت أنه كوشف بحالى مع أولائك الفقراء، فقعدت نتحدث فى كرامات الاولياء، ثم تركنى وخرج، فما رأيته الى صلاة الصبح، فطيت معه الصبح، وأردت الانصراف، فقال لى الضيافة ثلاثة أيام، ثم قال لى الضيف فى حكم صاحب الدار حتى يخلى سبيله فقلت له نعم وكرامة لا أخالفك، فخرج وتركنى، فلما كان بعد أن صليت الضحى دخل وانزلنى من الغرفة الى الموضع الذى يعمل فيه الدرازة بيت فى المنزل، فقعدت معه وهو على منواله، يعمل شغله، ونحن نتذاكر فى أخبار الصالحين، فاذا بباب منزله يقرع، فقام ليفتح فقلت له تعلم انى رجل لا أريد الجمع مع أحد غيرك فلا تظهرنى لاحد، فقال نعم قم الى غرفتك، فقمت الى الغرفة وفتح الباب، فسمعت حس رجال كثيرين ولم أرهم، فجاء الى الزاوية التى أخرج منها البارحة ما أخرج فرأيته يدخل الى ركنها فيخرج العسل واللبن المعقود والخبز الحار بلا قدر، فعلمت أنه صاحب كرامة، فأقمت عنده ثلاثة، وأنا أراه يخرج الطعام من الزاوية المذكورة، فاذا أخرج أنظر الى الزاوية فلا أرى فيها شيئا وأنا لم أسأله، فلما أردت السفر سألته عن العسل واللبن والخبز الذى كان يخرجه، فقال لى رأيته فقبل بين عينى، وقال لى يا على أنت منهم، يعنى من الصالحين، ثم قال لى يا على دخل منزلى رجال كثيرون ما سألنى أحد عن هذا الا أنت ورجل يعرف بيوسف الاقصورى، فقلت له أتعرفه، فقال لى من أين تعرفه، فقلت له جرى لى من مشيه على الماء، فحكى عنه ضرغام الخراز أنه كان يصلى الظهر والعصر عندهم بصنهورة من ثلاث سنين وبين صنهورة والاقصور ثمانية عشر يوما، ثم قال لى يأخى على هو شيخى، فتأكدت بينى وبينه الصحبة والمحبة، ثم قال لى يا أخى على اعلم أن يوسف يأكل من القدرة، وأنا أيضا آكل من القدرة، وأطعم منها .

الشيـــخ أبو الحسن المراكشـــى :

قال الشيخ أبو الحسن حكيت هذه الحكاية لشيخ مسن مـــن العلماء العاملين بالله، فقال لى يا ولـــدى ياعلى اسمع وع، لله رجـــال لا يأخذون من القدرة بشىء أو ان ظهرت لهم وأخذوا منها شيئا يحجبهم بها عنهم، فيموتون، ولم يروه وهذا الشيخ هو سيدى أبو الحسن المراكشى وهو مدفون ببادس عـــن يسار الخارج من باب المقابر، قال مؤلف هـــذا الكتاب، وفى قبر هذا الشيخ عجب، اذا أنت أتيـــت اليه ترى عليه نـــورا ينشرح قلبك بالنظر اليه، وله أحوال عظيمة مع الخضر عليه السلام، ومع قوم يونس ومع أولياء كبار، وقد رأيت فى كتاب لطائف المنن .

سيدى عبد الســـلام بن مشيـــش :

قال الشيخ أبو الحسن عن شيخه سيدى عبد السلام بن مشيـــش سلـــك الشيـــخ سيـــدى عبـــد الســـلام الطريـــق وهـــو ابـــن سبـــع سنـــين ، وظهـــر لـــه مـــن الكشـــف أمثـــال الجبـــال ثـــم خـــرج الى السياحة ، وأقـــام بهـــا ســـت عشـــر سنـــة ، قال فدخل عليـــه يومـــا شيخ فى مغارته، فقال له من أنت، فقال له أنـــا شيخك، قد كنت ابن سبع سنين، وكل ما كان يصلك من المنازلات فهو منى، وهى كذا وكذا، فحدثه بجميع ما جرى له من الاحوال، وكان سكناه بالمدينة على ساكنها السلام، وكان يجيىء اليه ويعلمه ويفيده، فقلت لـــه ياسيدى كـــان ياتيك طيـــا أو سفرا، قال فى ساعة يأتى ويروح، فقلت له ياسيدى كنت أنت تروح اليه، قال نعم، قال مؤلف هذا، وحدثنى سيدى أبو عبد الله بن أيـــوب بمدينة فاس، قال حدثنى رجل صالح ممن لقيت، قال كنت بمصر فى بعض بواديها، فاذا أنا بطائر أبيض كبير قد وقف أمامى، وصار يهـــم، بالطيران ويشير الى كأنه يقول لى اتبعنى، ثم طار مع الارض كطيران النعامة، واذ بريح رطبة قد هبت من خلفى، فصرت أهرول وراء الطـــير والريح تحملنى وأنا لا أفارق الارض، أكثـــر الاحيان تدوس قدمـــاى الارض، وما زلت كذلـــك الى أن جن الليـــل، فوجدت نفســـى فى ارض لا أعرفها، وبين يدى سواد شجر، وكنت اذا كان وقت الصلاة تسكـــن الرياح ويقف الطائر حتى أصليها، قال فاذا ذلك السواد بساتين، فدخلت

الى بستان منها وقذف الله فى قلبى عند دخوله ان تلــك الارض أرض مجوس، قال فلما تمكنت من الدخول فى البستان رأيت شخصا مستقبل القبلة الى شجرة يطلى، فلما قربت منه علمت انها امرأة فهممت بالرجوع خوفا من الخلوة، فاذا هى قد أتمت الصلاة وسلمت بسرعة، فقالــت لى يا عبد الله قف لى أكلمك من بعيد، قال فقلت لها ما هذه الارض يرحمك الله، قالــت لى هذه أرض المجوس الفلانيين، قال فقلت لها ومن أنــت، قالت أنا من هؤلاء المجوس، ولكن قذف الله فى قلبى الاسلام، فلم يــزل الله تعالى يبعث لى أشخاصا من الحنيفية كما بعثك أنت فى هذه الساعــة فيعلمنى التوحيد ودين الحنيفية، وصرت انستر بذلك وأدين به خفية الى أن زوجت من أحد هؤلاء المجوس، فحملت لازف اليه، فاختطفت من بين يدىَ الذين حملونى، وصرت فى هذه البادية أعبد الله ويأتينى برزقــى، ويسترنى عنهم، ومهما اشكل على شىء من أمر دينى يسوق الله لى رجلا من الحنيفيين، ويعلمنى، وقد وقفت الآن فى كذا وكذا مسئلة من التوحيد، فساقك الله الى فارشدنى يرشدك الله، وكان عندى فى تلك المسألة علــم فعلمتها، ثم ردنى الطير والريح الى الموضع الذى كنت فيــه .

رجع الى حال الشيخ سيدى أبى يعقــوب :

لما رجع الشيخ سيدى أبو يعقوب نفع الله به من مدينة فــاس الى بادس، وانعزل للعبادة والمجاهدة بالرابطة التى على البحر، وصل اليه من الاقصور أحد أصحاب الشيخ الاقصورى، وهو المريد السالك أبو يحيى الشامى نفع الله به، فنزل عليه بالرابطــة المذكورة، فوجده قد حصل من علم الظاهر جزءا صالحا، وقد ظهرت عليــه أنواره وكذلك أن العلــم اذا استعمل ظهر نور له، وان هو أفشى للتزين بـــه للمخلوقين أورث القلـــب ضلمة، سيما والعياذ بالله أن أريد به حطام الدنيا وتحصيل المال والجــاه، فأخذ الشيخ أبو يحيى الشامى المذكــور فى تربية الشيخ سيــدى أبىَ يعقوب وتهذيبه وتدريبه، لما ذكر الشيخ سيدى أبو الحجاج من أنه مهيىء لان يكون خليفة له، حدثنى الثقات أنه تربى على يد الشيخ سيدى أبى يحيى الشامى رحمه الله اناس كثيرون من أهــل بادس من البوادى، وانه كان بعضهم يأوى الى الرابطة، وكان فيهم رجل يدعى ابن تازغيت، وان

حاله انتهى الى أن صار يواصل أسبوعا، فان هذا الرجل سمع قائلا يقول له ان الله تعالى لم يقبل منكم الا يوسف، وذكر لى أن هذا الرجل المدعو ابن تازغيت فتر عن العبادة، ولم يستدرج قليلا حتى صار يرجع تازوغايت على فرسان بقوية اذا لعبوا، فنعوذ بالله من الارتداد على العقب.

زيــارته لوالــديه يوم الجمعــة :

حدثنى بعض أهل الخير، قال سمعت من الشيخ سيدى أبى يعقوب، قال لما كنت بالرابطة كنت لا أدخل البلد الا يوم الجمعة، ادخــل فأزور أبواى، واغتسل للجمعة واصلى، ثم أرجع الى موضعى، قال فدخلت يوم الجمعة فقالت لى والدتى يا يوسف والدك جاء من البادية اليوم، وأخبر أن الزرع قد يبس فى اكمامه من قلة المطر وشدة الحر، وان الناس قــد رحلوا من الريف، فاسع ان ترغب من الفقراء الذين فى الزاوية يرغبون الله تعالى فى المطر، قال فخرجت الى الرابطة، فوجدت بها فقيرا أسمــر من فاس، فقال لى قنطت أمك يا يوسف، قل لها تأخذ من الشعير الــذى عندها فى القلة تحتالسرير وتصنع بنصفه عصيدة بزيت، ويأكلها الفقراء، وينزل المطر ان شاء الله، قال فانصرفت الى أمى، فأخبرتها الخبر، فتعجبت من ذلك، فقالت لى والله ما علم به أحد الا الله تعالى، ثم صنعت العصيدة بالزيت، وبعثت بها الى الرابطة، وأكلها الفقراء، ثم قال الرجل الاسمــر اللهم امطرنا، فما أتم الكلام الا والريح والمطر الوابل قــد عم الارض، وبقى أسبوعا لم يفتر لا ليلا ولا نهارا، حتى تهدمت البيوت، قال فلمــا كان فى الجمعــة الآتية دخلت على عادتى الى بادس، فقالــت لى أمــى يا ولدى ترغب من الرجل الصالح يدعو الله تعالى فى الصحو، قال فقلت ذلك قال قل لامك تصنع من النصف الثانى من المد كما صنعت بالنصــف الاول، ويأكله الفقراء ودعا الرجل المذكور وطلب من الله تعالى الصحــو، قال الشيخ سيدى أبو يعقوب فما أتم الدعاء الا وضوء القمر داخــل من طاق كانت بالرابطة، زاد غير الذى حكى لى هــذه الحكاية، ان ذلــك الرجل قال للشيخ أنا آكل ثلاث أكلات فى السنة، وهاتان أكلتان أكلتهمــا، وبقيت لى أكلة واحدة حتى يقدرها الله عند من شاء من عباده، حدثنــى من اثق به عن الشيخ سيــدى أبى يعقوب، قــال لى سيدى أبو يحيى

الشامى ليلة كذا فى جوفها، يايوسف خذ الركوة واذهب الى البئر يعنى البئر التى بمقبرة الرابطة، واسق لنا منها الماء قال فذهبت الى البئر فوجدت عليها رجلا بزى الفقراء الاعاجم، فقلت له السلام عليكم ورحمة الله، فقال لى وعليكم السلام، قال فاقشعر جلدى منه واصابتنى رعدة، قال ثم سقيت الماء ورجعت الى الرابطة فقال الشيخ سيدى أبو يحيى يا يوسف أرأيت أحدا على البئر قال فقلت له نعم ياسيدى رأيت رجلا صفته كذا وكذا وأخذنى كذا، فقال هو الخضر عليه السلام والحمد لله الذى أقر عينى بك .

رحلة الشيخ أبى يحيى الى المشرق :

ثم أخذ الشيخ سيدى أبو يحيى الشامى فى الحركة الى المشرق، فخرج من بادس، وخرج معه الشيخ سيدى أبو يعقوب، وخرج معهما جماعة كثيرة من أهل بادس، فباتوا جميعا بموضع يقال له أويزغيت عند الشيخ الصالح أبى يعلى الفتوح بن أبى بكر، وكان وليا من أولياء الله تعالى، فأضافهم وذبح لهم بقرة، وصنع لهم طعاما، فلما أكلوا أعطاهم (1) الرب ليشربوه، فشرب الحاضرون وامتنع الشيخان سيدى أبو يحيى وسيدى أبو يعقوب من شربه، فقال لهم الشيخ سيدى أبو يعلى بيدى طبخته فاستمرا على الامتناع فقال لسيدى ابى يحيى ما تخرج من هذه حتى تشربه، وقال لسيدى أبى يعقوب تطلب ولا تجده، وانصرفا من عنده فسلط الله عليهما شهوة الرب فشربه سيدى أبو يحيى ببلاد غمارة، بعد وداع سيدى أبى يعقوب له ورجوعه، وبقى سيدى أبو يعقوب يصبر نفسه عنه وأمه تطلبه ولم تجده، فلم يزل الشيخ أبو يعقوب يرغب الله تعالى حتى صرف عنه الرب، وتم الكلام على ما علمته من شيوخ سيدى أبى يعقوب رحمه الله تعالى ونفع به فى علم الظاهر وعلم الباطن .

ذكر نبذ من كرامات سيدى أبى يعقوب رضى الله عنه ونفع به:

حدثنى أبو عبد الله بن مغيث مرارا عديدة، احدها بمحضر جماعة من أهل الخير، قال سمعت سيدى ابى يعقوب رضى الله عنه يقول، كنت

---

(1) ما يطبخ ويشدد ويثخن من عصارة بعض الثمار كالبندورة (ماطيشة).

أرى السموات السبع والاراضين السبع والعرش والكرسى والجنة والنار، وحدثنى أيضا أبو عبد الله المذكور عن يحيى عن يوسف وكان رجلا خيرا دينا كثير الموالات للشيخ سيدى أبى يعقوب نفع الله بـــه قال يحيى ابن يوسف سمعت الشيخ سيدى أبا يعقوب يقول، كنت أسمع المؤذن يـــؤذن فى السماء الرابعة، وبعد ذلك بالمدينة اسمع المؤذن بصومعه بادس، قال أبو عبد الله بن مغيث حدثنى قارىء الكتاب بين يدى سيدى أبى يعقـــوب، وهو الشيخ المبارك أبو الحسن على بن الكمـــاد، قال قلت لسيـــدى أبى يعقوب ياسيدى سمعت أنك تسمع المؤذن فى السماء الرابعة، قال فقال لـــى نعم، وقال عند انقضاء كل ساعة من النهار، قال مؤلف هذا، ولقد رأيـــت فى كتاب لطائف المنن عن الشيخ سيدى ابى الحســـن الشاذلى أنه قـــال، استنار قلبى يوما فكنت اشهد ملكوت السموات السبع والاراضين السبـــع، فوقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك، فعجبت كيف حجبنى هـــذا الامر الصغير عن هذا الامر الكبير، فاذا أنا يقال لى، البصيرة كالبصـر أدنـــى شىء يحل فيها يعطل النظر، ورأيت أيضـــا سيدى ابا يزيد البسطـــامى رضى الله عنه أنه قال لى اطلعنى الله سبحانه على عجائب السموات السبع، والاراضين السبع، ثم قال يأبا يزيد كيف رأيت، قال فقلت يا حبيب قلبى ما رأيت شيئا، قال فقال لى يا أبا يزيد تمن، قال فقلت أتمنى، قال فقام أحد تلاميذه من بين يديه، قال له يا استاذى لاى شىء لم تتمن المعرفة، فقال له اسكت ويحك حملتنى الغيرة عليه أن لا يعرفنى غيره، وكان ما كان مما لست اذكره، فظن خيرا ولا تسـأل عن الخبر، وحدثنى أبو عبد الله ابن مغيث المذكور عن القلوبى ابى الحسن ابن الكماد المذكور، انه قـــال له قلت لسيدى أبى يعقوب يا سيدى سمعت أن الاولياء اذا قرؤوا القرآن يسمعونه يقرأ عن أيمانهم، قال ابن الكماد فقال لى سيدى أبو يعقوب نعم يعلم الله اذا قرأت القرآن اسمعه يقرأ عن يمينى .

بشـــرى لحملـــة القـــرآن :

وحدثنى الخطيب أبو الحسن على حفيد الشيخ سيدى أبى يعقوب نفع الله به، والحاج أبو العباس احمد بن الكماد انهما كانا مع جماعة من أهل بادس بين يدى الشيخ سيدى أبى يعقوب فى الجامع ببادس، والشيخ

جالس فى المحراب فاذا بالاستاذ أبى عبد الله محمد بن محمد بن الخضار السبتى، وتلميذه الفقيه العدل أبى البقاء يعيش بن سعيد، قد وقفا للشيخ سيدى أبى يعقوب برسم ان يشهد لهما فى عقد اجارة كان بأيديهما، فتوقف الشيخ سيدى أبو يعقوب فى الشهادة، وبقى بين يديه وأطرق برهة حتى أراد الانصراف، فاذا به قد أخذ منهما وكتب فيها بخطه عوضا من الشهادة، وسمع يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلى فى المحراب شيئا، يقول له بشر حملة القرآن برحمة من الله ورضوان، عند كتب هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، قال فأخذا الاجارة من يده وانصرفا فرحين بهجين بذلك، واجتمعنا فى ذلك اليوم جميع من كان ببادس من حملة القرآن ينظرون الى خط الشيخ ويقبلونه ويفرحون بهذه البشارة العظيمة التى من الله تعالى بها على لسان هذا الشيخ الجليل، عن لسان القدوة لجميع من حمل القرآن، وحمل شيئا منه، فان الباب واسع والكرم عظيم، وما أرجو الله أن يخلو أحد ممن حمل سورة الاخلاص من نيل هذه البركة، فانه جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم، أن سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن، وهذه المسألة مشهورة ببادس، قال مؤلف هذا، كان يحدثنى رجل صالح اسمه يحيى اليازغى، عن رجل صالح كان بمدينة فاس، يقال له سيدى عبد الله المغراوى، وانه كان يكتب اللوح من القرآن، ويبقى فيه خمسة أشهرا وستة أشهر، وفى كل نفدة يرقى لمقام من الفهم أعلى من المقام الذى كان له فى الفهم فى النفدة التى قبلها، فاذا انتهى الى آخر مقام قدر له من فهم معانى القرآن، يقول له امح ذلك اللوح، واكتب غيره، وحدثنى يحيى المذكور عن سيدى عبد الله المغراوى المذكور أنه كان فى بعض الاحيان يقرأ القرآن، فاذا مر بذكر الحور العين كشف له عنها حتى ينظر اليهن وينظرن اليه، ويسمع كلامهن يقلن له اقرأ يفهم منهن أنه اذا سكت عن القراءة يغيب عن ذلك الحال، وكان سيدى عبد الله هذا من كبار الاولياء أى أولياء الله تعالى، وكان يسكن بعين امزليتن بدويرة بلصق مقابر الفدان من فاس، رأيت جماعة من الصالحين يزورونه ويترددون اليه، حدثونى عنه باشياء غريبة غير هذا .

زواجـــــــــــه :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث، قال سمعت أبـــا يعقوب يقول يعلم الله ما كنت أردت أن أتزوج حتى قال لى أبواى ان لم تتـــزوج والا فأنت مخالف لنا فى مرادنا، قال فلما رأيت ذلك، قلت لوالدتى اذا عزمتــم على انى ولابد من التـــزوج من ابنت خالتى من البادـــة، فانى أعلم أن أهل البادية أقل دينا من الحاضرة فزوجونى منها، ودخلت معها ثلاثة أعوام، وهى لم تلد، صارت أمى تقول زوجت ولدى من امـــرأة عقيمـــة، وتكرر الكـــلام فى ذلـــك، حتى علمت بذلك زوجتى، فبعثت الى حالتها والدتى، وقالت لها قل لخالتى ولدها ما رأى لى بشرة ولا رأيـــت له بشرة، وانه منذ دخل معى فى البيـــت يصلى فى ركن البيت الليـــل كله، وما رآنى ولا رأيته، قال فبلغ ذلك الى والدتى، فقالت لى ما طلبت ابنت أختى الا لنعطلها، وتكلمت لى بكلام خفت منه، وبعد ذلك اقتضتها وولدت لى ولدى عبد الله، وحدثنى أبو العباس احمد بن المؤذن جـــار الشيخ سيدى أبى يعقوب وداره بلصق داره، قـــال فخرجت يومـــا من دارى بشقف فى يدى أسوق نارا فبعثنى الشيخ أبو يعقوب فى حاجـــة أقضيها له، فانصرفت وتركت سوقان النار، فقضيت الحاجة ورجعـــت، فلما أتيت الى باب دار الشيخ، فاذا بالشيخ خارج بباب داره فأخـــرج لى يده وبين أصابعه جمرة نار، فوضعها فى الشقف الذى كان فى يـــدى، فبهت، مما رأيت من حبسه النار فى يده كأنها تفاحة أو وردة لا تحـــرق، وحدثنى أبـــو العباس المذكور قال كنت بازاء الشيخ أبى يعقوب يرفع رأسه الى السماء وينظر يمينا وشمالا، قال فقلت له سيدى ما كنت تنظر فقال لى الملائكة غطوا السماء بل الفضاء كله جاءوا للصلاة هنا، وسمعت ذلك من جماعة غير أبى العباس المذكور، وحدثنى أبو العباس المذكور أنه كان مع جماعة من الناس ورآى الشيخ وهو يزور المقابر، فاذا بـــه قد وقف وقال لهم يعلم الله لو رأيتم الذى أرى لما رجع أحد منكم لاهل ولا ولد، وحدثنى أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبى الحســـن ابن مغيث عن أبيه أبى الحسن على المذكور، قال خرجت مع الشيـــخ سيدى أبى يعقوب نفعنا الله به لحضور جنازة، فاذا بالميت قد جاء به

على أعناق الناس، فقال لى سيدى أبو يعقوب يا على رأيت شيئا فوق ذلك الميت، قال فقلت له لا يا سيدى، قال انى أرى روح ذلك الميت تسير فوقه، قال على بن مغيث وكنت أسير معه برسم زيارة المقابر، فيقول لى انى أرى طيورا على المقابر، فاذا قربت منها تدخل فى القبور، وهى يعلم الله أرواح الاموات، ورأيتها مرة فدخلت كلها المقابر، وبقى منها طير واحد أسود على قبر ينظر الى، كأنه يطلب منى شيئا، فعلمت أنه كثير الذنوب فيعلم الله مازلت أدعو له حتى زال عنه ذلك السواد، وحدثنى حفيد الشيخ الخطيب على أنه كان يخرج مع الشيخ وهو صغير الى المقابر، فيرى تلك الطيور ويقول له الشيخ يعلم الله هى أرواح الموتى، وحدثنى عن الشيخ أبى زكرياء يحيى بن يوسف عن أمه الصالحة مامو بنت محمد بن على انهما سمعا من الشيخ سيدى أبى يعقوب نفعنا الله به أنه قال يعلم الله كل من أطلى عليه لا يدخل النار، وقال أيضا يعلم الله اذا تخرج الى المقابر ترى رؤوسا تخرج من بعض المقابر تشبه رؤوس الغنم، التى تساق فى العيد من عند الشواط .

قائد قصبة بادس لما دخلها النصارى :

وحدث أيضا عن يوسف بن قياس قائد قصبة بادس حين دخلها النصارى، واستشهد فى ذلك اليوم رحمه الله ونفع به، قال لما وصل بادس قائدا بها، جاء الى الشيخ وأخذ فى الحديث معه والتبرك به، فقال له أثناء كلامهياسيدى ما نزال فى هذه البلاد ان شاء الله حتى ندفنك، قال له الشيخ لا، يعلم الله أنا ندفنك، فلما كان يوم دخول النصارى بادس ركب ابن قياس وقاتلهم على عسكر الموجة، واستشهد هناك، ودفنه الشيخ سيدى أبو يعقوب رحمه الله وكان يقول عند دفنه هذا رجل مسعود.

القاضى أبو محمد عبد الله :

وحدث أيضا على الفقيه القاضى أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمان ابن يعلى، أنه قال مات رجل ممن كان يوالينا وكان مسرفا على نفسه، وكانت له أم عمياء، فلقيت الشيخ سيدى أبا يعقوب بقرب دار أم الرجل المذكور وهو يسئل عنها، فدخل اليها ودخلت معه، قال فقال لها ولدك يسلم عليك ويقول لك يا أمى كنت أخدم عليك فى دار الدنيا فادع لى فى الآخرة،

قال القاضى عبد الله المذكور، فقلت له يا سيدى فى النوم رأيته قال لا، يعلم الله الا فى اليقظة كلمنى مثل ما أنت تكلمنى، وحدثنى أبو العباس احمد بن المؤذن قال، كنت وأنا صغير أقرأ لوحى فى عرصة الشيخ سيدى أبى يعقوب بينما أنا أقرأ فاذا بالشيخ قد جاء لجهتى، وقال لى يا ابن محمد سق تلك الحصيرة التى فى قعر العرصة، فيبيت عليها الفقراء الواردون لزيارة الشيخ، قال فقلت له ياسيدى لا يقدر أحد يقرب من ذلك البيت من كثرة مافيه من البراغيث، قال فتبسم الشيخ، وقال لى يعلم ألله البراغيث لا يتعدون عليها سقها، ولابد، قال فقمت وأتيت بالحصيرة ودخلت الى البيت وجعلتها فيه وخرجت، فتعلق برجلى وثيابى براغيث كثيرة، فأخذ الشيخ طاشورة (1) ولفه ودخل الى البيت وجعله تحت رأسه ونام، فجلست أرقبه حتى فاق وخرج من البيت ولم يتعلق به برغوث واحد، فتعجبت من ذلك، قال أبو العباس بن المؤذن المذكور حكيت هذه الحكاية لبعض الناس بالاندلس فقال، كان فى ثيابى الشيخ القمل فقلت له نعم كثير، فقال ولاى شىء كانت البراغيث لا تتعلق به وتتعلق به القمل، قال فخلق الله عندى ببركة الشيخ ان قلت له ان البراغيث تتكون من التراب، فهى كسائر الحيوان الخارجة عن الانسان المؤذية له فحماه الله منها، كما حمى الاولياء من الاسواء وغيرها من الحيوانات المؤذية والقمل شىء يتكون من الانسان من ضرورة البشر، كاللعاب والمخاط وغير ذلك من ضروريات البشر اللازمة له، فذلك كانت فى الشيخ فسكت وسلم، وحدثنى أبو عبد الله ابن معيث قال، لما ولد لى ولدى يوسف جئت الى الشيخ سيدى ابى يعقوب، قلت له كيف اسمى ولدى الذى تزايد عندى، فقال له سمه يوسف قال، فقلت له يا سيدى كيف اسميه يوسف واسم أخى يوسف، انما أردت عليا كاسم أبى، قال فقال لى قلت لك تسميه يوسف قال فسكت وانصرفت وسميته فلم يلبث أن غرق أخى يوسف فى البحر، ولم يبق بدارى من اسمه يوسف الا ولدى يوسف فقط، وحدثنى أبو

---

(1) لم يوجد لها ذكر فى المعاجم ولعلها لهجة محلية تطلق على نوع من الوسادة .

عبد الله بن مغيث المذكور قال، انشأت أنا وأناس من أهل بادس قاربا، وسقناه بالزرع وسفرناه الى بلد الاندلس، بعد أن دعا له الشيخ، واستودعه الله، فانه ما استودع الله له الشيخ جفنا ولا مسافرا ما رأى فى ذلك الا خيرا، فلما سافر الجفن المذكر حدث نوى فى البحر فقلقنا وخفنا على القارب، قال فلما خرج الشيخ سيدى أبو يعقوب من المسجد وبعد صلاة الضحى خرجنا وراءه مريدين ان نسأل منه الدعاء أن يسلم الله ذلك القارب، فاذا بالشيخ قد رد وجهه الينا، وقال قد وصل قاربكم الى الاندلس، وخرج فى تلك البلاد التى فيها الفاكهة قال، فقلت له يا سيدى، المنكب، قال فقال نعم، قال فلما كان الا بعض الايام والخبر وصل بذلك .

جواز التجار من بادس الى الاندلس :

وحدثنى عبد الله بن مغيث المذكور قال كان رجع بمدينة بادس غراب (1) وطريرة رفعها مولانا السلطان المقدس المرحوم أبو الحسن (2) رحمه الله على يد خادمه غازى بن الكاس برسم المجاوزة وكان قيد عليها القائد على المترتى، وكان قد اجتمع ببادس خلق كثير من التجار بأحمال كثيرة من الكساء والجبة، وغيرها، وهم ينظرون الجواز لبر الاندلس ، وطال عليهم الامر، فلما تيسر سفر الجفنين، المذكورين اجتمع التجار وجاءوا للشيخ بالجامع وقالوا له يا سيدى انظر من حالنا من أجل الله تعالى، وكلم لنا غازى عسى أن نسافر فى هاذين الجفنين، قال الشيخ ابعثوا الى غازى، فجاء غازى الى الشيخ، فقال له هؤلاء التجار ضاقوا ها هنا، فعسى أن تجوزهم فى هاذين الجفنين، فقال له السيد غازى مالى فى هذا أمر ولا نهى، وانما بعثنى برسم عملهما فقط، والامر فى

---

(1) سفينتان للسفر فى البحر وفى الاولى قال الشاعر :
غربانهـا سود بيض قلوعها يصفـر منهن العـد والازرق

(2) هو السلطان أبو الحسن المرينى علىبن ابى سعيد عثمان بن يعقوب المنصور ويعرف بالسلطان الاكحل لانه كان أسمر اللون وتولى بعد وفاة أبيه سنة 731 هـ. وتنازل لولده أبى عنان عن الملك بعد قتال بينهما وتوفى فى 752 وجاهد بالاندلس .

الجواز للقائد فقال الشيخ ابعثوا وراء القائد، فجاء القائد راجلا اليه بداره، فقال له الشيخ عسى أن تحمل هؤلاء التجار فى هــذين الجفنـــين صحبتت الـــى الاندلس، فقال له القائد مليح والله السلطان أمرنـــى على الاجفان برسم الجهاد نجـــوز انا فيهما على الحركة، وقال الشيـــخ ففى هذين الجفنين يكـــون سفركم ان شاء الله تعالى، فقالـــوا له وكيف يكون سفرنا يا سيدى فيهما وقد سمعت قول القائد، فقال لهم يعلم الله ما تسافرون الا فيهما ان شاء الله تعالى، فانصرفوا ولم يصدقوا بشىء من ذلك، ثم رجعوا اليه يوما آخر، وهموا ان يكلموه فلما رآهم قـــال لهم اعملوا على السفر فى ذينك الجفنين، فانصرفوا، فلما كان بعد ذلـــك دفع الجفنان المذكوران فى الماء، وجعل فيهما الزاد والعدة وبيت أهلهمـــا على السفر، فجاء التجار الى الشيخ رضى الله عنه قال ياسيدى سافـــر الجفنان، فقال لهم قلت لكم ما يسافرون حتى تسافروا فيهما، فلما كـــان المغرب جاء عدوى من فاس بالامر من عند مولانا ابى الحسن رحمـــه الله مع جفان من جباب وقال للقائد احمل هذه الجباب (1) الى بر الاندلس، وجوز ما ببادس مـــن التجار، فعند ذلك صدق التجار كـــلام الشيـــخ، وسافر التجار بعد أن جمعوا خمسة وعشرين دينارا من الذهب وتصدقوا بها على فقـــراء بادس شكـــرا لله على مـــا يسره عليهم من السفـــر فى الجفنين المذكوريـــن .

بنو عبد الوادى بتلمسان يأسرون قائد بـــادس :

ونزل التجار المذكورون ببر الاندلس، وتوجه الجفنان المذكور ان الى بلد العدو، ثم زفتهما الريح من بلاد العدو حتى بلغا الى ماوراء بجاية من بلاد المشرق، ورجع الجفنان من هنالك الى أن جاز على ساحل برشك وهو فى ذلك التاريخ لبنى عبد الوادى، فأخذ القائد على المذكور يتكلم مـــع بعض الناس فى ساحـــل برشك، فقالوا له اصبـــر حتى ناتوك بالضيافـــة فساقوا ثلاثة من البقر، وأروه انهم يسوقون له بعض المرافق فدفعه قدر

(1) الجباب بكسر الجيم جمع جبة وهى الدرع، ومن السنان ما دخل فيـــه الرمـــح .

الله تعالى لما أراد ان يظهر فيه من كرامة وليه سيدى أبى يعقوب فهبط فى الفلوة الى البر على خلاف عادة القياد، ولم يهبط من الفلوة غيره فأخذه أولائك القوم الذين كانوا بالساحل وادخلوه الى البلد، ورجع ولده القائد حسن بالجفنين المذكورين ولم ينقص من الجفنين المذكورين أحد غيره، وكان عاقبة على أن سجنه بنو عبد الوادى حتى مات فى السجن، وذكر لى غير أبى عبد الله بن مغيث المذكور فى هذه الحكاية أن الشيخ سيدى أبا يعقوب حين عامله القائد على المذكور بتلك المعاملة الخشنـــة، قال للتجار يعلم الله ما تسافرون الا فى هذين الجفنين وتصلوا فى عافية ولا يخص منكم الا هو، وهو يشير للقائد على المذكور، فكان الامـــر كما قال الشيخ، فقـــد بلغ فى الحديث من أذى وليا من أولياء الله تعالى فقد حارب الله تعالى.

السفر فى البحر كـــان محفوفا بالاخطـــار :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث المذكور قال، كنت بمالقة بحانوت أمين قيساريتها بن عبد الرزاق فاذا برجل من التجار جاء الى الحانـــوت، فأخذ التجار يسئلونه كيف جرى لهم مع النصارى فى البحر حين جاؤوهم، فقال لهم التاجر المذكور أحدثكم بكرامة عظيمـــة من كرامة سيـــدى ابى يعقوب البادسى، فقالوا بالله حدثنا، فقال لهم كنا ببادس بجماعة من التجار فلان وفلان وعسر علينا الجواز ولا وجدنا مركبا نجوز فيه، قال فاكترينا قاربا بثمانين دينارا من الذهب، فلما عزمنا على السفر خفنا من الجواز فى القارب، ورغبنا منه الدعاء لنا، وقال لنـــا امشوا ولا تخـــافوا واذا رأيتم شيئا تخافون منه فلا يلهيكم ولا يخوفكم، قال فاشتد خوفنـــا من ذلك، وسافرنا وقطعنا البحر الى أن بلغنا قريبا من المنكب، فاذا (1) بقرقورة مسطعة للنصارى المغيرين تتبعنا، فأيقنا بالهلاك فلما قربت منا بحيث كنا نشاهد كل ما فيها ظهر لنا غراب وطريدة قاصدين الينا مـــن جهة المنكب، فازداد خوفنا، فلما وصل الينا الغراب والطريدة فاذا همـــا من أجفان المسلمين، جاءا من المنكب يستخلصنا من تلك القرقورة فاعطونا الطريق وجوزنا حتى دخلنا المنكب، ونزلنـــا به سالمين فى عافية ببركـــة الشيخ رحمه الله تعالى ونفع به .

---

(1) لا توجد كلمة قرقورة لاحد المراكـــب فى مادة القرقرة ولعلها عامية.

اختلاف ابى يعقوب مع بعض الفقهاء فى صلاة عيد الفطر:

وحدثنى الشيخ الفقيه أبو موسى عمران الزهيلى، قال فى عيد الفطر لم يكن ببادس من ثبتت عنده رؤية الهلال فأصبح الشيخ سيدى أبو يعقوب اليوم المتم لثلاثين يوما من رمضان، وخرج بالناس الى المطى وصلى بهم صلاة العيد، وأفطر وأفطر الناس، فانكــر ذلك على الشيــخ والفقراء أحد الفقهاء يقال له العباس الساروری، قال الشيخ أبو موسى عمران جئت من البادية ثانى يوم العيد برسم زيارة الشيخ والسلام عليه فوجدته فى عرصة جالسا مستندا للحائط، فوقع الكلام على صلاة الشيخ رفطره وفطر الناس بفطره، أشاع العبــاس من الفطر والخــروج الى المصلى قال الشيخ أبو موسى عمران فقلت للحاضرين الحق من جهة الفقه مع العباس المذكور، فانبرى لى الشيخ وقال تكذبنى، وقال لى يعلــم الله لقد ادى به الشهود عندى من الطرابلس .

غــزوة كبــرى بالاندلــس :

وحدثنى الشيخ الصالح المبارك أبو زكرياء الحاج يحيى الشاكرى خديم الشيخ الصالح سيدى أبى يعقوب فى حال وجهته الى الحجاز، قــال دخلت يوما على الشيخ سيدى أبى يعقوب فى بيته فوجدته قائما يصلى، وسيدتى الزهراء مستقبلة القبلة، فلما سلم الشيخ من صلاته وسلمت عليه، قال الشيخ لسيدتى الزهراء، يا زهرة كانت اليوم فى غرناطة غزوة عظيمة مثل الغزوة التى فى فتوح الشام، فلما كان بعد أيام وصل الخبر الى بادس من الاندلس بالغزوة العظيمة، التى غزى المسلمون مرج غرناطة، وكانت الغزوة العظيمة فى ذلك اليــوم .

فتنــة فى بـــادس :

وذكر لى غير واحد أنه كانت فتنة ببادس، ففر أهلها الى البادية، وبعضهم سكن بالبادية وأودعوا أمتعتهم بدار الشيخ سيدى أبى يعقوب، فكان الشيخ رحمه الله يصلى ويخرج فى بعض الاحيان ويتفقد بـــاب الدار والاسطاح، وهو يقول اللهم أحرسها من الضرر واجعلها فى كنفــك، قال الشيخ سيدى أبو يعقوب فما خرجت بعــد ذلك اليوم ولا تفقــدت واستأمنت من ودائع النـــاس .

تأخر نزول المطر :

وحدثنى أبو العباس بن المؤذن أنه كان جالسا فى جمع من أهل بادس فى الجامع بين يدى الشيخ سيدى ابى يعقوب وطالب يصحح عليه لوحه، وكان للمطر مدة كثيرة لم ينزل، وقلق الناس من ذلك قلقا شديدا، واذا بالشيخ يقول بأن يجمعوا الليلة، قال له من حضر أى شىء قلت ياسيدى يجمع الليلة، فقال للطالب الذى كان يقرأ اقرأ، ولم يجبهم بشىء، وكان فى ذلك اليوم حر كثير وشمس عظيمة، فاذا بالارياح قد هبت وهبت من باب الجامع، حتى صلوا المغرب والعشاء مجموعتين كما قال الشيخ .

مقارنة بين الشيخين الحاج حسون وابى يعقوب :

وحدثنى جماعة أنهم سمعوا أن سيدى الشيخ الولى المرحوم أبا اسحاق سيدى الحاج حسون البقيوى لما حضرته الوفاة أغمى عليه من قبل صلاة العصر الى بعد صلاة العشاء الاخيرة، قال فلما أفاق قال له ولده سيدى الحاج محمد يأبت لا تنس ذكر الله تعالى، فقال له حشاه ان انساه، ثم قال له ان الله تعالى أعطانى الشفاعة فى عشرة آلاف، فاستزدت فأعطيت الشفاعة فى عشرين ألفا، فاستزدت فأعطيت الشفاعة فى ثلاثين ألفا، فقيل لى هذا مقامك عندنا، وان الله تعالى أعطى الشيخ أبا يعقوب الشفاعة فى خمسين ألفا، قيل لى فحكى ذلك للشيخ أبى يعقوب فقال نعم يعلم الله أما تعلمون ان المخلوق اذا خدمه الانسان يعطيه العطايا الجزيلة ويشفعه فى الجرائم العظيمة ويفعل معه الخيرات، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى، يعلم الله ما أشفع الا فى جميع من رآنى أنظر اليه ولو مرة واحدة، قال مؤلف هذا، واجتمعت فى مسجد بادس مع سيدى ابراهيم ولد سيدى الحاج محمد المذكور، وسألته عن ذلك فقال لى هذه المسألة صحيحة، ولكنى كثير النسيان فاسأل عنها أخى أبا بكر فانه أثبت منى، ثم جاء أخوه أبو بكر الى بادس وسألته فى الجامع فقال لى نعم كذا سمعت من والدى، وزاد ان جده لما رأى ما أعطى الشيخ سأل المزيد فقيل له خذ ما أتيتك وكن من الشاكرين .

عـــدد دور بـــادس :

وذكر لى غير واحد أهل بادس أنهم سمعوا الشيخ أبا يعقـوب غير ما مرة يقول يعلم الله الولى يشفع فى أربعين دارا أمامه وأربعين دارا وراءه وأربعين عن يمينه وأربعين عن يساره، وعدوا ديار بادس من كـل الجهات فوجدوا أقل من الاربعـين .

عمل الشيخ أبى يعقوب بيده فى الفلاحـة :

وذكر لى بعض الطلبة أن والده دخل على الشيخ سيدى أبى يعقوب برؤوس الكرنب وأعطاها لى، قال فقلت فى نفسى هـذه الغرصة فيهـا الرباع وله الربع فى خضرها، فكيف يعطنى الشيخ هذه الرؤوس وفيهـا حظ الرباع قال فما أتممـت ذلك حتى قـال لى الشيخ يعلـم الله هـذه الاحواض التى أعطيتك منها الكرنب ما للرباع فيها شىء .

تجارة أهل بادس فى الخشـب :

وحدثنى جماعة من أهل بادس أن رجلا يقال له الرايس على، وكان يبيع فى حانوت بادس، وكان مع ذلك يتجر فى الخشب فضعف رأس ماله فى وقت، فأعطاه رجل من تجار الاندلس خمسة دنانـير ذهبا، وقـال له اشترها خشبا نجـد عندك ميسرا اذا رجعت من سفرى ان شاء الله تعالى، وسافر الرجل فى البحر الى الاندلس، قـال الرايس على فأخـذت الدنانير وكنت فى حاجة شديدة اليها، فتصرفت فيها حتى اشترى له بعـد ذلك الخشب بغيرها مما يفتحه الله لى، قال فلمـا سافر الرجل قام عليـه البحر فردته الرياح الى جهة الجبهة، وعطب هنالك ونجا برأسه، ورجـع الى بادس، فبينما أنا جالس فاذا به قد دخل عريانا، فقال لى أعطنـى الخمسة دنانير نشترى ما نلبس ونجهز منها على نفسى، فسقط بيـدى، ولم أدر ما أجاوبه به، فوعدته أن أسوقهـا لـه، وصرفته عن نفسـى، وبقيت متفكرا فيما أصنع فخلق الله عنـدى ان مشيت الى سيـدى أبى يعقوب فوجدته فى غرفة مع ناس، فجلست منتظرا انصرافهم، فحينئـذ أكلمه، فلما انصرف الناس قام الشيخ فتبعته الى باب العرصة فلما هممت

أن أكلمه، قال لى امش الى حانوتك، فتوقفت فقال لى مرة أخرى امش لحانوتك قلت لك، فتعجبت وذلك بأنه ما جئته قط الا وتبسم لى ويرحب بى، قال فخرجت وانصرفت الى حانوتى، وجلست بها، وكان عندى فى حانوتى زمام لجلد كنت أكتب فيه بيعى وشرائى، فخلق الله عندى أن أخذ ذلك الزمام واتصفحه وانظره لعله بقى لى عند أحد شىء، فأطلبه، قال فأخذت الزمام وحللته فلما فتحته وجدت فيه بين الكواغد خمسة دنانير ذهبا جديدا، فكدت أن يذهب عقلى من العجب مما أعطى الله أولياءه من الكرامات، فأخذتها وبادرت بها الرجل لاعطيه متاعه، وفرج الله عنى ما كنت أعانيه من أمر الرجل .

اشتغال النساء بالحياكة والصباغة :

وحدثنى رجل من أهل البادية يقال له يحيى بن عيسى اليسغفى، قال صنعت أمه كساء وعلقتها فى (1) النول، واحتاجات الى شىء من اللك تسبغ به ارجوان الكساء المذكور، ولم يكن عند ناشىء نشترى به اللك، قال فقالت لى أمى خذ هذا المقياس واذهب به الى بادس وأرهنه عند العطار فى اللك الذى نحتاج اليه حتى يتم نسج الكساء ونبيعه ونفك به المقياس، قال فأخذت المقياس وجعلته فى شكارتى وجئت الى بادس، فدخلت الى دار الشيخ فلما سلم من صلاته سلمت عليه، فقال لى يا ولدى يعلم الله العطار لا يبيع اللك بالدين، ارفع طرف السجادة واحمل ذلك الذى تحتها أربعين درهما جديدا، فأخذتها ومشيت للعطار فقلت له نحتاج من اللك كذا فكم هو، وقال لى أربعين درهما، قال فقلت له عسى أن تحبس هذا المقياس فيها وتعطنى اللك، فقال يا ولدى اللك لا يباع بالدين وانما يباع بالدنانير أو الدراهيم، قال وقلت ذلك تصديقا لكلام الشيخ، قال ثم أخرجت الدراهيم وأعطيتها له وحملت اللك .

نارنج سبتة يجلب الى بادس :

حدثنى غير واحد عن أبى بكر الحيانى أنه مرض ولده مرضا شديدا، وكان كثير الموالات للشيخ والتصرف فى حوائجه، قال فاشتغلت

---

(1) خشبة الحايك التى ينسج عليها ويلف عليها الثوب .

بمرض ولدى وغبت عن الشيخ، قال فلما جئت اليه سألنى عن غيبتى فأخبرته بمرض ولدى، فكتب لى حرزا ونشرة فحملت ذلك للولد فوجد راحة، فاشتهى نارنجة ولم يكن ذلك الوقت منه ببادس الا ما يجلب من سبتة فطلبتها فى بادس فلم نجدها، واشتد طلب الولد لها حتى قطعت الدخول اليه، قال فقلت اذهب الى عرصة الشيخ سيدى ابى يعقوب اسمع العلم وأخبار الصالحين، لعل خاطرى يستريح من أمر الولد، فلما دخلت العرصة لم نجد فيها غير الشيخ وحده، وهو يتوضأ فأردت الرجوع فأشار على بالدخول فدخلت، فلما فرغ من وضوئه قال لى كيف حال ولدك، قال فقلت له ياسيدى حسن كان ولكنه طلب منى نارنجة ولم أجدها، فاذا بالشيخ قام وادخل يده فى ربيع بازاء الحائط وأخرج منه نارنجة عظيمة جدا شديدة الحمرة حسنة الرائحة كأنها قطعت فى تلك الساعة، وأعطاها لى، وقال لى جعل الله راحته فيها، قال فأخذها الولد فشمها وكانت سبب راحته، قال وبقيت عندنا أياما وفقدناها، وهذه حكاية مشهورة عند أهل بادس، حدثنى بها جماعة من أهل بادس .

اهتمام الشيخ أبى يعقوب باليتامى :

وحدثوا عن أبى بكر الحيانى المذكور أنه كان يتصرف للشيخ فى شراء ثوب الايتام، وشراء زرع لهم يعطى له الشيخ الدراهيم ويشترى، فلما كان يوما وجد الشيخ خارجا عن العرصة الى د ره فتبعه، قال أبو بكر فقلت فى نفسى يارب، هذا الشيخ سيدى أبو يعقوب أى شىء دعاه لهذا الصداع الذى يشوش عليه، هذا اليتيم اشتر له ولهذا أفعل كذا، قال فاذ به رد رأسه وخرج، فقال كان سيدك أبو يعقوب قبل أن يعرفك ويعرف غيرك، ثم اعرض عنى وانصرف، قال فكدت أن أموت من مكاشفة سيدى أبى يعقوب وبهت، فاذا به رجع الى وقال يعلم الله تعالى أى شىء نعمل لهؤلاء الايتام قرابة سيدتك الزهراء أولاد أخيها، وأولاد أختها، وأولاد بنى عمها، ويقطع قلبى لا نقدر ما نعمل .

اجتماع اليتامى وذوى العاهات المزمنة فى داره بعيد الاضحى:

حدثنى عبد الله بن مغيث، قال جاءت لدار سيدى أبى يعقوب

ليلة عيد الاضحى بكر عمياء من قرابة السيدة الزهــراء فأصبحت يــوم العيد فى الدار، فاجتمع أهل الدار ومن بها من الايتام والمساكين وشــووا اللحم وأكلوا حتى شبعوا، وكانت البكر العمياء لقرب عهدها بالورود على الدار والانس بأهلها، أصابتها حشمة وحياء، ودخلت فى بيت من بيــوت الدار واختفت هنالك، والشيخ فى هذا كله مشدود عليه بيته يصلى، فاذا بالشيخ قد خرج من بيته الى البيت الذى فيه البكر العمياء، وصار يقــول هنا من لم يأكل، وكان فى الدار قدرة بلحم حينا جعلت على النــار، فغرف منها بيده فى أناء، وأخذ خبزا وحمل اللحم والخبز الى البكر العمياء، وقال لها كلى، قالت فأكلت لحما نضجا فتعجبت من اطلاع الشيخ على حــالى، وهو فى بيته مشدود عليه، ومن نضج الحم من غير طبــخ .

احترام المرور فى ملــك الغــير الا بحق :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث المذكــور عن أبى بكر الحيــانى المذكور، قال خرج الشيخ سيدى أبو يعقوب من عرصته وجاز فى عرصــة يعقوب بن يوجرتين المجاورة لها، قال وأنا وراء الشيــخ، قال فلما وصلنا الى الوضع الذى جرى بينى وبينه ما جرى فى الايتام، قال فقلت فى نفسى كيف يجوز للشيخ أن يمر فى عرصة الغير، فاذا به قد رجع الى منحرفا كما كان صنع فى مسئلة الايتام، وقال لى يعلم الله حظ أمى فى هــذه العرصة، يشير لعرصة بن يوجرتين باق الى الآن ما بعته ولا قبضت ثمنه.

تحليــة العروس يــوم زفافهــا :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث المذكور قال، لما تزوجت صفية بنت أبى الحسن على بن الكماد وأخذ فى زفافها، جعلت فى يدها (1) غرفة من ذهب كانت من متاع أختها زوجة ابن عياذ، فلما أراد النساء الانصراف أخذت امرأة ممن حضر الغرفة المذكورة وجعلتها فى حجرها ونسيتها، فلما قامت سقطت من حجرها وهى لم تشعر، فطلبت الغرفة فلم توجد وقامت قيامة عليها فى الدار، فمشت امرأة كانت تخدم صاحبة الغرفة لدار الشيخ

(1) لا يوجد اسم للسوار أو الخاتم بهذا الاسم ولعلها كلمة عامية.

سيدى أبى يعقوب وقالت له يا سيدى امرأة ابن عياذ ضاعت لها غرفة من الذهب من يد أختها العروسة فعسى أن تدعو الله يجبرها عليها فقال لها الشيخ سيدى أبو يعقوب تعطى فيها كذا للمساكين، وتجبر ان شاء الله تعالى وكان للشيخ عادة جارية ما انخرقت قط، اذا مشى اليه أحد بتلف شىء وقال له يخلفه الله عليك، فلا يجبر أبدا، واذا قال له تصدق بكذا ويجبر فلابد أن يجبره الله تعالى به، قال فانصرفت تلك المرأة الى صاحبة الغرفة وقالت لها، قال لك سيدى أبو يعقوب تعطى ربيعا كذا للفقراء وتجبر غرفتك، فقالت لها تعطى دينارا، ثم انصرفت فأخذت صاحبة الغرفة صرف دينار غير ربع وساقته فى طرفها للشيخ، وقالت له ياسيدى تلك الصدقة سقتها ، فقال لها وهو لم يعلم كم ساقت وقال من قال شيئا يوفيه، فبعث سيدى أبو يعقوب طالبا اسمه عيسى المصمودى كان يقرأ عليه، وكان رجلا صالحا، هو الان مدفون مع الشيخ فى روضته، قال فقال له الشيخ يا عيسى قل له لان يرد الغرفة التى عند زوجته، فقال له الشيخ اخرج من هنا وأول من تلقاه هو صاحبك، قال فخرج الرجل عيسى الطالب المذكور فلقى رجلا، فقال له يقول لك سيدى أبو يعقوب رد الغرفة التى عند زوجتك لصاحبها، قال فبعد ذلك جاء الرجل زوج المرأة، وقال يا سيدى ما قدرت فى تلك المرأة بشىء، فقال له الشيخ انظرها فى برسيل النخالة تجدها، قال فنظر فى برسيل النخالة فوجدها فأخذها وحملها الى الجامع بعد صلاة العتمة، ورمى بها لعيسى الطالب ومن كان معه فى بيوت الجامع، فأخذها وحملها الى الشيخ سيدى ابى يعقوب، وحملها ليلا لدار صاحبتها، ونقر الباب فوقف له زوج صاحبتها فأنشد، سيدى أبو يعقوب (ما عودنى أحبائى قاطعة، بل عودونى اذا قاطعتهم وصلوا) ودفع له الغرفة وانصرف، هذه الحكاية مشهورة ببادس .

علاقة المزمة ببادس :

سمعت من غير واحد ببادس يحدث أن رجلا من التجار جاء من الاندلس صحبة القائد يحيى الرتراجى، وكان التاجر المذكور صاحب متاع كثير، وكانت معه شكارة فيها أثاث، حمله للناس من ثياب الخز

وغيرها، فاشتغل بأحماله فسرقت له الشكارة، فجاء الى الشيخ سيدى أبى يعقوب فشكى له واستوهب منه الدعاء، فقال له الشيخ تعطى شيئا للمساكين ويجبرها الله عليك، فقال له ياسيدى عشرين دنانيرا ذهبا، فقال له الشيخ سر فى حفظ الله تعالى وآمل الله ان يجبرها عليك، وبعد يومين وصل رقاص من المزمة بكتاب واليها، يقول فيه وصل هنا رجل من الغزاة وبيده شكارة انكرناها عليه وسألناه عما فيها فتوقف، وثقفت الشكارة، فان كان هناك من ضاع له شىء فليأت، فتوجه الرجل التاجر الى المزمة واخرج زمامه وذكر منه جميع ما فى الشكارة فصرفت عليه شكارته، ورجع الى الشيخ مقضى الحاجة، فأعطى العشرين دينارا للمساكين، وحدثنى غير واحد من أهل بادس أن الشيخ رحمه الله كان متى احتاج شيئا من الدراهم قلت او كثرت يدخل يده فى جيبه ويحركه ويقول سبحان الله، ويخرج دراهيم جديدة، أو يحل أحد كتبه فيجد فيه الدراهيم، ورأيت خلقا كثيرا لا يحصون رأوه يخرج الدراهيم من جيبه ومن الكتاب، وأما أحفاده فحكوا لى أنه لم يزل بطول حياته يعطيهم من تلك الدراهيم شيئا كثيرا، وانه كان يقول لهم افلوا ثيابى فيفلونها فيجدون فى جيبه الدراهيم بعد أن لم يكن فيها شىء .

من أسباب تشاجر الزوجين :

وحدثنى أبو العباس احمد بن المؤذن، عن الطالب المعلم للكتاب العزيز أبى عبد الله محمد بن احمد، قال طلبت منى زوجتى أن أشترى لها (1) كنبوشا، قال فاعتذرت لها ولم تقبل لى عذرا، فتشاجرنا بسبب ذلك، وخرجت عنها وأنا مكروب، فمشيت الى الشيخ سيدى أبى يعقوب فجلست بين يديه، واذا به ادخل يده فى جيبه، وصار يحركه ولم يجد فيه شيئا، وزاد فى تحريكه ويقول سبحان الله سبحان الله فاذا به اسمع حركة الدراهم فى جيبه، فاخرج لى أربعة وعشرين درهما، وقال لى خذ اشتر بهذه للفقيرة متاعك كنبوشا، فأخذتها وانصرفت وأنا أتعجب من قدرة الله عز وجل فى اطلاع الشيخ على ما بينى وبين امرأتى، وفى اخراج

---

(1) الكنبوش هو خرقة من الكتان تشد به المرأة رأسها وهى لهجة محلية.

تلك الدراهيم، وحدثني الشيخ أبو عبد الله بن مغيث وكان شديد الملابسة للشيخ والتصرف فى حوائجه والنفقة له والدخول الى بيته والخروج منه، لكون السيدة الزهراء زوجة الشيخ سيدى أبى يعقوب خالته، قال كلما كان الشيخ يحتاج لنفقة داره يقول لى يا محمد امش للطاق، ونمشى للطاقة ونرفع الكتب فنجد الدراهم تحتها، قال وسمعت الشيخ يقول الله اعلم كلما نحتاج لنفقتى نجده تحت الكتاب فى الطاقة، قال عبد الله بن مغيث ما زلت طول السنين أخرجها بيدى ؟

الشيخ عيسى بن عبد الكريم صاحب زاوية سيدى عيسى

قال مؤلف هذا، ان لبنى ورياغل رجلا مسنا من أولياء الله تعالى، اسمه عيسى بن عبد الكريم، وانه من جماعة الشيخ ابى ابراهيم الاعرج، وان له أسلافا صالحين أولياء، فتشوفت الى رؤيته كثيرا الى أن يسر الله على، فمشيت الى موضعه واجتمعت معه وبت فى بيته وأكلت طعامه، ورأيت له بركة عظيمة، وهو رجل أمى لكنه يحفظ من مسائل الفقه ما يحتاج اليه فى دينه من العبادات والمعاملات شيئا كثيرا، ويتكلم فى دقائقه كلاما تعجبت منه تعجبا عظيما، فكنت اتحدث معه فى كرامة الصالحين، الى أن تكلمنا على الشيخ سيدى أبى يعقوب نفعنا الله به، فقال سيدى عيسى بن عبد الكريم نعرفكم بما رأيت من كرامات سيدى أبى يعقوب نفعنا الله به، فقلت له يا سيدى بالله عرفنا، قال نعم جاء العيد الكبير وكانت عندى غنم بالجبل، فمشيت اليها واخترت منها كبشا سمينا، وسقته لاضحى وكان رجل جاء معى فى أثناء الطريق بدابته، فحمله لى وقال فلما بلغنا الى مفترق الطريق وضع لى الكبش عن الدابة وانصرف فبقيت أجره وهو يتصعب على، الى أن قربت الشعبة وأنا قد عييت، والكبش قد عيا ورقد فى الارض، ولم يقدر على الوقوف، وأنا فى غابة ذات سباع كثيرة، ولم أقدر أن أنجو بنفسى وأترك الكبش، ولا أن أجلس معه فتأكلنى السباع، وحارت مذاهبى، قال فقلت اللهم ان كان للشيخ سيدى أبى يعقوب عندك مقام وهو مقبول عندك فاجعل لى من أمرى هذا فرجا ومخرجا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، قال فما أتممت الدعاء الا والكبش قد نفخ وانتفض انتفاضتين وجرى أمامى فصرت أجرى وراءه حتى دخل فى بيتى، فانطرحت فى الارض مما جريت وراءه .

ذكر رؤية الشيخ رضى الله عنه للخضر عليه السلام :

وقد تقدم فى صدر الكتاب ذكر رؤية الشيخ رضى الله عنه للخضر عليه السلام على البئر تحت الرابطة، حين بعثه مربيه سيدى أبو يحيى الشامى برسم استسقاء الماء، وتلك أول رؤية كان له رحمه الله، حدثنى أبو عبد الله بن مغيث قال سمعت الشيخ سيدى أبى يعقوب يقول أول رؤية رأيت الخضر عليه السلام الرؤية التى رأيته على البئر .

الفقيه القاضى أبو البركات الاندلوسى :

وحدثنى أبو العباس احمد بن المؤذن، قال كنت جالسا مع الشيخ سيدى أبى يعقوب رضى الله عنه ونفعنا به فى عرصته، وكان معنا فى المجلس الفقيه القاضى أبو البركات البرفيقى الاندلوسى، فقال لى الفقيه أبو البركات يا فقيه أبا جعفر عسى أن تنظر لى مويهة حلوة اشربها، فقال لى الشيخ سيدى أبو يعقوب ولاى شىء لا يشرب من تلك السانية فمشى الى سانية عرصته، فقال له الفقيه أبو البركات يا سيدى ماؤها شلوق، فقال له الشيخ سيدى أبو يعقوب يعلم اللله يا سيدى لا تشرب ولا تتوضأ مدة بقائك ببادس الا منها، وكذلك فعل حتى انصرف من بادس،

الشيخ الصالح أبو الحسن على :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث عن والده الشيخ الصالح ابى الحسن على خديم الشيخ سيدى أبى يعقوب، قال كان والدى رحمه الله فى المسجد الجامع من بادس جالسا مع سارية من سوارى المسجد والشيخ سيدى أبو يعقوب جالس مع الحائط يتحدث مع رجل رأيته ولم اتحقق صفته، فبعد ذلك بمدة فاذا بالرجل قد انصرف وجاء الشيخ سيدى أبو يعقوب وحده الى جهة السارية التى كنت معها، فقال لى وهو يبتسم يا على رأيت الرجل الذى كان يتحدث معى، قال فقلت له لا يا سيدى الا أنى علمت أنك تتحدث مع شخص فقال لى ذلك الشخص هو الخضر عليه السلام، قال فارتعدت برأسى، وسلبت عن عقلى اسفا على ما فاتنى من رؤيته والتبرك به، وبقيت ثلاثة أيام هائما متحيرا لم أكل ولم أشرب، قال وكانت عادتى مع الشيخ اذا خرج الشيخ من المسجد بعد صلاة العتمة ان أصل معه حتى يدخل داره، قال فلما كان بعد ثلاثة أيام المذكورة دخل الشيخ

الى داره بعد صلاة العتمة وأردت الانصراف، فقال لى يا على هنا تبيت الليلة عندى، قال فدخل ودخلت معه فأخرج زوجته الى البيت الآخر، وبت أنا والشيخ فى البيت، فقام الشيخ يصلى وقمت أنا أصلى فى الجهة الاخرى من البيت، فصليت ما شاء الله، ثم أصابنى كسل عن الصلاة، فلم أقم أصلى، فجلست جالسا ثم اضطجعت فنمت، فاذا أنا فى النوم فى عرصة الشيخ سيدى أبى يعقوب والشيخ عند الصهريج أمام الساقية ومعه فقير على زى الاعاجم، ويده فى يد الشيخ، والشيخ يقول لى يا على هذا هو الفقير الخضر عليه السلام، قال فقبلت يده وتبركت به ثم افقت، فاذا بالشيخ قد تنحنح وقال لى يا على رأيته، قال فقلت له يا سيدى نعم رأيته؟

الشيخ أبو يعقوب فى جامع عمرو بن العاص :

وحدثنى أبو عبد الله مغيث عن الشيخ أبى يعقوب قال كنت فى جامع عمرو بن العاص أنا والخضر عليه السلام نتحدث، فاذا بوالدك يعنى على بن مغيث جاء وجلس الينا وقبل يدى الخضر عليه السلام، وصار يقول له يا سيدى ادع لنا أن يجمعنا مع أولادنا، قال الشيخ سيدى أبو يعقوب فكان الخضر يدعو له بلسان الاعاجم ما فهمت ما يقول له فى دعائه وحدثنى أبو عبد الله المذكور، قال سمعت سيدى أبا يعقوب يقول، اجتمعت مع الخضر عليه السلام فى جامع عمرو بن العاص ثلاث مرات، قال مؤلف هذا الكتاب غفر الله له، رأيت فى كتاب مناقب الاولياء لسيدى أبى الحسن المراكشى رحمه الله ونفع به، قال على بن محمد خرجت يوما من مصر أريد الميمون لزيارة رجل مخفى على الناس لا يعرفه الا رجال معلومون، وما يمكن لى أن أذكر اسمه، فبينما أنا على شاطىء النيل ماشيا اذ انا بالرجل عليه حلة العجم، وعليه مرقعة وبيده أبريق فسلم علينا مبادرا، فرددت عليه السلام، واثر البشاشة على وجهه، وكان وقت صلاة الظهر فقال أم بنا نصلى الفريضة، فقلت له نعم وكنت على وضوء، ثم قلت له صل بنا قال نعم فأخرنى عن يمينه ثم قال لى تأخر قليلا فان هذه هى السنة فى صلاة الاثنين، فصلينا فكان يطيل السجود والركوع، وما طيت صلاة اتقن منها، وكنت أسمع خلفنا ونحن نصلى، فنظر الى وضحك حتى انظر الى ثناياه، وقال لى يا على أما تعلم

ان ملائكة هذا الموضع صلوا معناء فتعجبت منه الذى عرف اسمى من غير أن أعرفه، وعلمت أنه من الاولياء بلا شك ثم قال لى لو أدركت يقينا فى علم التوحيد لرأيت الملائكة بعينك وكنت أظن بنفسى أنى على شىء فقلت له يا سيدى علمنى مما علمك الله، قال نعم فقال لى أذكر ما علمت فذكرت له شيئا فضحك منى، وقال لى يا على لو أعطيت من علم التوحيد ذرة لحملت السماء على جفن عينك ثم قال لى لا يقع نظرك فى عالم مشاهدتك وغيبتك الا على الله لانه ما فى الوجود غيره، فنظرت فلم أر أحدا فغشى على ساعة، ثم قمت فمشيت حتى وصلت الميمون، فحدثت بذلك السيد الذى جئت لزيارته، فقال لى هو الخضر عليه السلام، فبهت فى وجهه، فقال لى أى شىء يبهتك ما جاءنى رجل قط حتى يلقاه صلى الله عليه وسلم، ومن عندى خرج أمس فبقيت متحيرا حيث لم أسأله أكثر مما سألته فعلم ذلك السيد منى فأقعدنى عنده ثلاثة أيام، ثم أردت أن أودعه وانصرف، فقال لى أقعد الساعة حتى ياتيك صاحبك الاعجمى، الذى هو الخضر عليه السلام، فسررت لعلمى بصدق السيد، فقعدت اليوم الرابع حتى الى وقت صلاة الظهر، فاذا بباب السيد قد قرع فقال لى قم فافتح، فقمت الى الباب ففتحته فاذا أنا بالرجل العجمى الذى صليت معه وأنا متأسف على ما فاتنى من سؤاله عن شىء انتفع به فلم تظهر منى بشاشة من شدة الفرح، فدخل الى بيت السيد فصلى بنا الظهر، ولم أر السيد قرب اليه طعاما ولا شرابا بخلاف عادته مع من يرد عليه من الاولياء، ثم تكلم السيد معه بكلام ما كنت أفهم منه الا بعض الكلمات، وأنا ساكت لا أستطيع خطابا ولارد جواب، فلما فرغ أخذ فى الدعاء فلم أعلم منه الا ثلاث كلمات: الكلمة الاولى ياحى مع كل حى يامن لا يفوته شىء، والثانية يامن أحاط بكل شىء علما، وقهر عباده بالموت والفناء، والثالثة يامن تقدست أسماؤه ولا يخصيها غيره، ثم قال لى السيد الولى قم الى موضعك الذى أتيت منه فبكيت بكاء شديدا حتى كادت روحى تزهق فجبر العجمى قلبى، وقال لى نجتمع يوم الجمعة بمصر فى الجامع، فقلت له ما أعرفك أين أجدك مقال تجدنى فى مسجد عمرو بن العاص، فحينئذ طابت نفسى، ثم ودعت

السيد والرجل الاعجمى، وصرت الى مصر، فنظرت اليه فعرفته وما وجدت معه أحدا، فصليت ركعتين وسلمت عليه، فأخذ بيدى واقعدنى على يمينه، فسألنى عن حالى فأخبرته فبقيت بمصر سنه اشهر، اجتمعت معه فيها ثلاث مرات فى ثلاث جمع وهو لا يجالس فيها احدا، فوقع فى نفسى ان الناس محجوبون عن رؤيته، فعلمنى فيها ثلاث علوم، وأوصانى الا أعلمها لاحد الا عند موتى، فقلت له أعلمها لاحب الناس الى، قال ما تستطيع ذلك ما يعلمها الا من قسم الله له بها، فلم يزدنى أكثر من ذلك ثم أمرنى بالمشى الى بيت المقدس، فمشيت باذنه، وما رأيته بعد ذلك، فعلمت أن ما كان قسم لى الا ما علمنى .

القاضى المفتى الشريف أبو عبد النور العمرانى ببادس :

حدثنى أبو العباس بن المؤذن، وأبو عبد الله بن مغيث وغيرهما وأهل بادس، وكنت سمعت هذه الحكاية لاكن لم أتحقق هل هى على النسق من الشيخ الفقيه المفتى الشريف القاضى ابى عبد النور بن محمد العمرانى بمدينة بادس يحكيها عن الشيخ أبى يعقوب والذى سمعته من المذكورين ببادس ان الشيخ سيدى أبا يعقوب .

الشيخ الصالح المؤذن ببادس وتعبير الرؤيا :

حدث أنه كان يرى الرؤيا فيحتاج فيها الى تأويل، والى نظر فى الكتب، قال فقال لى المؤذن الصالح الموقت عيسى بن عمر اذا رأيت الرؤيا فانظر اليوم أو الليلة التى تراها فيه، واحسب كم يوم مضى من الشهر وعد على عدد الايام من سور القرآن من أول الفاتحة، وتلك السورة التى توافق فى العدد اليوم الذى رأيت فيه الرؤيا، تعد من أولها من الايات على عدد السور التى عددت أيضا، ففى الاية الموافقة لليوم الذى رأيت فيه الرؤيا، الى أن جاءنى أبو العباس احمد بن يوسف بن اسماعيل وقص على رؤية رآها، ففسرتها بالوجه المتقدم، وقلت له اذا أنت رأيت رؤيا ففسرها على وجه كذا وكذا، وعلمته التفسير المقدم، فلما كان بعد ذلك وأردت أن أفسرها بذلك التفسير نسيته، فأردت أن أتذكره من عند الشيخ المؤذن أبى مهدى عيسى المذكور، فقلت له ذلك التفسير الذى علمتنى أذكره لى وانى نسيته، قال فقال لى والله ما علمتك شيئا قط ولا ذكرته

لك ولا عندى منه علم، فانصرفت عنه وعلمت أن الذى كـان علمنى ذلك هو الخضر عليه السلام، قال مؤلف هذا، مازلت أفسر الرؤيـا على هـذا الوجه فلا يظهر لى شىء فيها، فعلمت أن فى هذا التفسير سـرا لم يطلع عليه الا الشيخ سيدى أبو يعقوب وأمثاله، ولم يظهر ذلك السـر لى ولا لأمثالى، مثل أن يكون فى باطن تلك الآية التى تعبر بها الرؤيا ما يطلـع عليه الا أولياء الله تعالى ولا يطلع عليها غيرهم، وقد تقدم فى الحكايـة فى صدر الكتاب عن سيدى عبد الله المغراوى أنه كان يقرأ فى اللوح الواحد من القرآن خمسة أشهر وستة أشهر فى كل نفذه ينفذه يرقى الى مقـام المعرفة، وقد قال سيدنا ومولانا على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع والله أعلم .

الخطيـب أبـو الحسـن :

حدثنى حفيده الخطيب أبو الحسن أنه سمع من الشيخ سيـدى أبى يعقوب أنه قال يعلم الله ليس كل واحد يعبر الرؤيا على هذا الوجه، وانه قال عن الرجل الذى علمه ذلك انه الخضر قال وكان سبب قول الشيخ فى ذلك انى رأيت رؤيا فأخذت فى تعبيرها على الوجه المذكور، فاذا بالشيخ يصيح من بيته يا على فجئته ودخلت الى بيته، وقال لى يعلم الله ما أحد يعبر الرؤيا على ذلك الوجه .

ذكر رحلة الشيخ سيدى أبى يعقوب رضى الله عنه الى المشرق :

حدثنى أبو عبد الله بـن مغيث قال سافر الشيخ سيـدى أبو يعقوب الى الحجاز فى شهر الله محرم من خمسة وسبعمائة وكان خروجه فى يوم السبت ولما كان الجمعة الذى سافر فيه جاء من البادية الى بادس خلق كثير من الطلبة والفقراء والصلحاء برسم رؤية الشيخ والسلام عليه، فصلوا معه الجمعة، وخرج الشيخ للمقابر برسم الزيارة على عادته، فخرج وراءه أولئك القوم الى مقبرة من المطى، فوقف ثمه وجازوا عليه، وأخذوا فى البكاء على فراقه ورغبوا منه القعود، فقال لهم يعلم الله ما مشيـت الا مأمورا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما وذكر كلاما لم أثبت عليه الآن لبعد ذلك التاريخ قال مؤلف هذا كـان :

الفقيه أبو عبد الله الرهونى ببـــادس :

حدثنى بمدينة بادس صاحبنا الفقيه أبو عبد الله الرهونى، حين رجع من زيارة الشيخ سيدى أبى يعقوب رحمه الله قال، قال له الشيـــخ سيدى أبو يعقوب كان سبب حجتى انى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وقبل دخوله فى ركن المحراب الجامع قمت فسلمت عليـــه، وأقبلت على النبى صلى الله عليه وسلـــم وقلت له ما جاء بك يا حبيبـــى يا رسول الله، فقال لى يا يوسف جئت لزيارتك، قال فقلت لـــه أنا أحـــق بذلك ثم أخذت فى السفـــر .

خروج الشيخ أبى يعقوب للحـــج :

وحدثنى أبو عبد الله بن مغيث قال خرج سيدى أبو يعقوب مـــن بادس يوم سفره الى الحجاز وخرج معه أصحابـــه الذين سافروا معـــه، وخرج لوداعهم طائفة من أهل بادس فباتوا تلك الليلة بموضع يقال لـــه ازمورا عند رجل صالح يقال له عيسى بن المعلم، وكان غزير الدمعـــة، ما يسمع شيئا من تلاوة القرآن او الموعظة الا ويبكى بكاء شديدا، قال فانزل الشيخ فى بيت وحده، وانزل من عداه من الواردين معه فى موضع آخـــر وصنع لهم طعاما وأكرمهم غاية، قال فأخذ الشيخ فى الصلاة والدعاء فلم يزل يدعو حتى دخلنى عجب فى ذلك، فاذا أنا أسمع قائلا يقول لى مـــن ركن البيت الذى كنت فيه يا يوسف أدع الفضل عميم والرحمة واسعة، قال مؤلف هذا، قد كنت قبل أن أقف على هذه الحكاية أدعو فى الصلاة وعنـــد زيارة قبور الاولياء لنفسى ولامير المؤمنين وولاة أمرهم ولجميع قرابتى وأهلى ولجميع أهل بلدى ولجميع المسلمين، ولم يخطر بخاطرى أن أقول لنفسى يايتها العاصية المستمرة على ما أنت عليه من أنت حتى تدعو هذا الدعاء ليت العجل يهضم نفسه ثم خطر بخاطرى مرة اخرى ان قلت مـــن جاء الى ملك كبير من ملوك الدنيا فطلب منـــه قيراطا أو خرسا أو شيئـــا يسيرا من متاع الدنيا فقد أســـاء الادب عليه، ولم يقدره قدره، فكيـــف يستطيع أن يسأل من ملك يوم الدين جل جلالـــه وتقدست أسمـــاؤه، أى شىء كان فاستمرت حالتى على ذلك الدعاء والحمد لله الى أن رأيت هذه

المسألة التى جرت للشيخ سيدى أبى يعقوب ففرحت وزدت الدعاء والحمد لله .

سفره عن طريق الجزائر :

قال مؤلف هذا لما وصل الشيخ سيدى أبو يعقوب الى الموضع الذى بات فيه ورجع المودعون له، سافر هو واولئك القوم الذين خرجوا معه من بادس برسم الحج، وكانوا أناسا قليلين فبلغهم الخبر ف (1) كرط ان الركب قد رحل من تلمسان منذ أيام، فخاف من كان مع الشيخ فبينما هم كذلك يتحدثون فى أمر الركب اذا برجل عليه زى الطلبة قد وقف الى الشيخ، وقال له لعلك تغيرت من فوات الركب، لا تخف، ولا يكن نظرك الا الى مكة، فانها فى قبضتك قال ثم صار الرجل اذا رحل الشيخ ومن معه يتقدم أمامهم، فاذا نزلوا يغيب عنهم، فما زال معهم كذلك حتى لحقوا الركب فى جهة بجاية، وذكر لى عن الشيخ أنه كان يقول أنه الخصر عليه السلام، حدثنى الشيخ أبو زكرياء يحيى الشاكرى خديم الشيخ سيدى أبى يعقوب فى طريق الحجاز قال ما ترك الشيخ سيدى أبو يعقوب شيئا من أوراده كلها لا صلاة ولا صوما ولا قراءة القرآن ولا شيئا مما كان يفعله وهو مقيم، قال الحاج الصالح أبو زكرياء يحيى المذكور وما نزل فى بلدة ولا قرية ولا مفازة لا يكون فيها عمران، الا ويبعث الله تعالى له رجالا صالحين يتبركون به ويضيفونه ويسعون فى قضاء حوائجهم، وأما هو فما كان يحتاج لاحد فى شىء غير الماء والمأوى، ولم يزل كذلك ماشيا وجائيا، قال الحاج يحيى المذكور لم أزل فى برقة ولا فى طريق الحجاز ومكة والمدينة أحمل ركوة الشيخ فى يدى، وأسير معه ومهمى احتاج الى الوضوء ينزل عن ظهر البعير ويتوضأ، واذا سألنى أحد أن يشرب من الركوة أعطيته يشرب منها، لكون الشيخ أمرنى بذلك، وما فقدت الماء من تلك الركوة قط، قال مؤلف هذا، رأيت فى كتاب مناقب الاولياء لسيدى ابى الحسن المراكشى قال سرت يوما الى سياحة فتبعنى شاب اسمه يوسف، وكان يواصل خمسة عشر يوما فلما رأيته قلت له

---

(1) وادي كرط بقبائل الناضور .

أرجع الى الفقراء خير لك، فلم يفعل فرغبنى وبكى فتركته، وكنت أريد أن أصل الى أسوان الى رجل يعرف بعبد الله الهرغى فمشى معى الشـــاب ومعه الابريق، وكنت أردت أن أمشى على الاقصور، فسرقتنا طريق صغيرة فتهنا فى صحـــراء، ومشينا النهار كله فيها وبتنا الليل ثم أصبحنا، ونحن نصلى بالتيمم، ثم مشينا الى وقت الزوال، فقعدنـــا الى الارض واشتـــد علينا الحر، وحميت علينا الشمس، والابريق بيد الشاب، وأنا أقـــول يـــا يوسف أصابنى العطش، فقال لى ياسيدى أقعد مكانك، فتوارى عنى وراء تل رمل فأتانى والابريق مملوء بماء، فنظرت اليه ونظرت الى الابريـــق فكان العطش لم يصبنى من شدة ما وجـــدت من الشاب فقلـــت له والله لاشربت من هذا الابريق شيئا حتى تعرفنى من أين هذا الماء، الذى جئت به فى الابريق، فقال لى ياسيدى انى أعرف فى هذا الموضع مكـــان المـــاء فقلت له يا ولدى لنا يومان تائهان فى هذه الصحراء، وما عرفت الطريـــق فكيف تعرف موضع الماء، ثم قال ياسيدى أقول لك الصدق لولا انى اعتقد فيك ما عرفتك بحديثى، كما لم أعرفه أحدا غيرك، فقلت له عرفنى، قـــال نعم يا سيدى هذا الابريق له عندى خمس سنين، وأنت تعلم انى متجلـــد على الوصال، فاذا أردت أن أدخل الى الصحراء برسم الحج، آخذ هـــذا الابريق معى، فاذا أصابنى العطش أدخلت تحتى فاسمع الماء ينزل فيـــه باذنى، ولا أعلم من حيث هو فاشرب وأتوضأ وبه أقوى على الصحـــراء ، قال فقلت له ان كان قولك حقا فاهرق الماء الذى فى الابريـــق، واجعل مـــا ذكرت، فهرق الماء من الابريق حتى لم يبق فيه شىء، ثم قام واقفا وادخله تحته ثم قرب منى وقال اسمع باذنك الى الابريق، فجعلت أذنى عند عنقه فبالله الذى لااله الا هو لقد كنت اسمع نزول الماء الى الابريق كأنه ينصب من ميزاب، ثم أخرجه من تحته مملوءا بالمـــاء، فقلت أشهد أن الله على كل شىء قدير، وان الله قد أحاط بكل شىء علما وانه فعال لما يريـــد، فتناولت الابريق من يده وقلت له يا ولدى يا يوسف ومن هذا الماء ينبغى أن يشرب لقربه من الكون، فشربته ماء أحلى من كل ماء وابرد من الثلج، حتى رويت ثم ناولته أن يشرب فامتنع، ثم قال لى توضأ فتوضأت وتوضأ منه وصلينا الظهر، ثم قعدنا فى الموضع حتى صلينا العصر، ثم مشينا الى

المغرب فبتنا تلك الليلة ونحن لا نعلم حيث نحن، فلما أصبحنا صلينا الصبح ثم مشينا مع البحر فرأينا النخيل فلما قربنا منها عرفنا البلد واذا الاقصور، فبتنا تلك الليلة عند الشيخ أبى الحجاج الاقصورى، ثم مشينا الى أسوان، وكان قريب العيد الكبير، فقعدنا عند الشيخ أبى محمد الهرغى، وعيدنا عنده العيد الكبير، ثم أراد الشاب أن يمشى، فتركت سبيله وهو الآن بمكة، ويبعث لى بالسلام مع كل من يعرفنى، فخروج الشاب يوسف معى لتصرفه نفع الله بهم أجمعين .

الشيخ أبو يعقوب فى الحجاز :

وحدثنى الشيخ أبو زكرياء يحيى الشاكرى أن الشيخ سيدى أبا يعقوب لم يفطر مدة غيبته فى الحجاز غير أيام الاعياد ويوم بين مكة والمدينة كان أصاب الناس فيه حر شديد ومات من الناس ألفان أو ما ينيق، فأفطر الشيخ فى اليوم .

زيارته لقبر اللخمى بمصر :

وحدثنى الحاج أبو زكرياء المذكور ان الشيخ سيدى أبا يعقوب مر بقبر الشيخ سيدى أبى الحسن اللخمى مؤلف التبصرة، وانه شك هل هو قبره أم لا، قال فقال اللهم ان كان هذا هو قبر الشيخ أبى الحسن حقا فاطعمنا ببركته اليوم تمرا قال فلما كان بين العشاءين جاء رجل الى قيطون الشيخ بطبق من تمر، وقال لى هذا التمر أريد أن يأكل منه هذا الرجل الصالح، فأخذته وادخلته للشيخ، وحدثنى الشيخ أبو عبد الله بن مغيث قال سمعت سيدى أبا يعقوب يقول كنت فى جامع عمرو بن العاص قرب رمضان، فاذا برجل جاءنى فقال لى أريد أن أقرأ عليك القرآن، قال فقلت له لا أجد لذلك حتى ينصرم شهر رمضان، قال فلما انصرم شهر رمضان جاء الرجل المذكور فأخذ يقرأ على بالسبع والشاذ، ويتكلم فى الآيات بتفسير، ما سمعته ولا عرفته قط، قال فقلت له يا أخى أنت جئت لتقرأ على وتستفيد منى، فاذا بى أستفيد منك، قال فقال لى انما قصدت البركة فقط، قال فلما جاء الى سورة الانعام قلت له يروى أن هذه السورة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم مرة واحدة، ونزل من الملائكة ستمائة ألف، وان فيها اسم الله العظيم

الاغظم، قال فقال لى اذا جئت الى قوله تعالى لن نومن لك حتى نوتى مثل ما أوتى رسل الله، والله يعلم حيث يجعل رسالاته، ثم تدعو فـان الدعاء يجاب عند ذلك، قال فلما رآنى استعظم عليه واتعجب منه غـاب عنى، وسمعت غير أبى عبد الله ابن مغيث المذكور يقول أن ذلك الرجـل كان الخضر عليه السلام، وحدثنى الحاج الصالح الشيخ أبو زكريـاء الشاكرى خديم الشيخ سيدى أبى يعقوب، قال اجتمع الشيخ سيـدى أبو يعقوب فى مصر برجل من أولياء الله الكبار كان حمالا يحمل الخبز فى قفص حديد، وكان يعطى للشيخ سيدى أبى يعقوب رغيفتين فى كل يوم، قال الحاج يحيى طال ما أكلت من ذلك الخبز، وكان امام جامع عمرو بن العاص رجلا صالحا، وكان يجتمع مع سيدى أبى يعقوب ويتبرك به ويرغب منه أن يجمعه مع الحمال، فلما كان ذات يوم اجتمع الحمال مع سيدى أبى يعقوب فى مسجد عمرو بن العاص وكان يتحدث معه فاذا بالشيخ سيدى أبى يعقوب رد رأسه لينظر الى الامام المذكور ليجمعه مع الحمال، قـال فغاب الحمال عنه، قال فلما كان بعد ذلك اجتمع الحمال مع الشيخ سيدى أبى يعقوب فعتب (أى الحمال) عليه ذلك، وقال له لاى شىء تدل علـى، فقال له الشيخ انما دللت عليك رجلا صالحا، فقال له اياك أن تعود لمثلها؟

سفره الى ابن غازى بليبيا ورجوعه للحجة الثانيـة :

قال الحاج يحيى لما حج الشيخ سيدى أبو يعقوب الحجة الاولى ورجع الى مصر واجتمع مع الحمال، قال الحمال لابى يعقوب أى شـىء تريد أن تعمل، قال له الشيخ أريد أن أرجع الى المغرب، فقال له الحمـال حتى تحج حجة ثانية، ولابد لك من ذلك ان شـاء الله تعالى، قال فغلـب على الشيخ الذين جاؤوا معه من المغرب، فرحل الى جهة المغرب فلما بلـغ الشيخ الى اسكندرية طلع فى البحر فى مركب، وطلعنا معه يقول الحـاج يحيى، فسرنا حتى اذا بلغنا الى موضع يقال له مرسى ابن الغـازى من مرسى برقة، عطب المركب الذى كنا فيه وسلمنا الله تعالى، وخرجنـا فى الساحل، فوجدنا مركبا قد فرغ الزرع فى المرسى المذكـورة، وهو يريـد السفر الى طرابلس، فأطلعنا فيه مغربى فلما رفع القلاع وقف المركـب،

ولم يمش، فقال الشيخ هبطوني هبطوني، فهبط وهبطنا معه فقال خاطر الحمال فعل فينا تعالوا نرجع فرجع ورجعنا معه من برقـة الى مصـر فى البر مسافرين فى الحين، فلما اجتمع الشيخ مع الحمال فى مصر قال لـه يايعقوب لابد لك من حجة ثانية، فقال له الشيـخ نعم ورجع حتى حـج حجة ثانية، فلما رجع من الحجة الثانية واجتمع بالحمال قال له يا يعقوب الآن ترجع الى المغرب، فرجع الشيخ الى المغرب، قال مؤلف هذا، قلـت للحاج يحيى أرأيت أنت الحمال، فقال لى لا، كأنى يوما جلست فى جامـع عمرو بن لاعاص وعلى ثياب خلق جدا ممزق فاذا برجل وقف عند رأسى، فلم أره لكونى كنت جالسا، وهو قائم وحجبـه الله عنى، فالقى الـى قميصا وسروالا وعمامة، قال فلبست الثياب وانصرفت الى الشيخ سيدى أبى يعقوب، فلما رأنى قال لى بالصحة، هل تعرف من أين هذه الثيـاب، قلت له لا ياسيدى فقال لى أنا نعرف من أين هى، قلت فعلمت أنها مـن عنـد الحمـال .

ترحمه على أخيه ابى العباس احمد المدفون بمكـة :

وحدثنى الحاج أبو زكرياء يحيى المذكور، قال فلما دخلنا مكة كان الشيخ سيدى أبو يعقوب يطوف الليل كله وما رأيته نام فيها ليلا أصلا، وكان الخروج الى مقابر باب المعلا يترحم على من هناك ويزور المقابـر ، فدخلت عليه يوما فوجدته جالسا فى الحرم، فقال لى يا يحيى ترحمت اليوم على احمد، وقرأت عليه ودعوت له، قال فقلت له ياسيدى ومن أين عرفته قال فقال له هو اعلمنى بنفسه، قال لى يا أخى يا يوسف جميع ما فى هذه المقابر ينتفع بك، وأريـد أن تخصنى من بينهم بشىء، قال فقلـت له ياسيدى فى النوم رأيته، قال فقال لى لا فى اليقظة مثل ما أنا أكلمك وتكلمنى، وكان حكى لى أن الشيخ سيدى أبو يعقوب كان له أخ سيـد فاضل، وكان أصغر من الشيخ وكان سلم للشيخ أبى يعقوب فى جميـع ميراثه فى أبيه اعانة للشيخ على ما كان بسببـه من العبادة فانفـرد الشيخ بميراث أبويه كله اذ لم يشاركه فيه غير أخيه المذكور وحدثنـى أبو عبد الله بن مغيث المذكور قال كان سيـدى الحاج أبو العبـاس أخ سيدى أبى يعقوب رجلا خياطا وكان زاهدا فى الدنيا تاركا لها، وكان له

طرق الى الحج، وحج اثنتى عشرة حجة، وكان له صوت حسن وتطوف لطيف، وكان يسكن ستة أشهر بمكة وستـــة أشهر فى المدينة، واتفق لـــه بالمدينة ان كان فى بعض نخلها وهو ينشد قصيدة :

دموعى على واد العقيق عتيـــق   ولى زفــرة تعدو بهـــا وتتـــوق

فلما جـــاه فى القصيدة الى قولهـــا :

نعتـــونى فقالوا هاك محمـــدا   وهاك أبا حفص وهـــاك عتيـــق

قـــال سمعـــه شـــاب رافضـــى مـــن حـــائط هنـــاك فخـــرج اليـــه مغاضبـــا ولطمـــه لطمـــة عظيمـــة، وقـــال لـــه يابـــن الفاعلـــة أنت رأيت أبـــا بكر وأبـــا حفص معـــه ، يعنـــى مع النبـــى صلى اللـــه عليه وسلم قال فجلس سيدى أبو العباس الى الارض مكترثا مما فعل به الرافضى مستغفرا الله من ذنبه، فان الصوفية قالوا من جنى عليـــه فليستغفر الله، قال فخرج اليه رجل من ذلك الحائط، وأخرج له تمـــرا، واعتذر واسترضاه فترك له تمره، وانصرف الى بيته بالمدينة فاضطجـــع فنام فاذا به يرى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم قد أخذ الرافضى الكاظيم له من تلابيبه، وأبو بكر قد حبسه من احـــدى يديه وعمـــر من الاخرى، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول حق على المزار أن يكرم زائره.

حنين أم أبى العباس أخى أبى يعقوب اليه وهو مازال حيا فى مكة:

وحدثنى عن الشيخ سيدى أبى يعقوب أنه كان ببادس مع أمـــه يوم عيد الاضحى، وأمه تبكى على ولدها الحاج احمد هـــذا اذ كـــان فى الحجاز وذكر لها عنه أنه مات، فقال لها سيدى أبو يعقوب أى شىء تعطى للفقراء اذا جاء ولدك، فقالت له ثيابى هذه، فقال ياحمد أمك تبكى عليـــك وتدعوك، قال سيدى الحاج احمد كنت بمكة فاذا بى أسمع صوت أخـــى يوسف، وهو يقول ياحمد أمك تبكى عليك وتدعوك، فأخذت فى السفر الى المغرب حتى رجعت الى أمى وفى الحديث الصحيح عن النبى أن شابـــا من الانصار توفى وله أم عمياء فسجيناه وعرفناه، فقالت مات ابنى فقلنا لها نعم، قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجـــاء أن تعيننى على كل شىء فلتحملنى على هذه المصيبة، فما برحنا أن كشـــف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا، وروى عن عبد الله الانصارى كنت ممن

دفن ثابت بن قيس، وقتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم، فنظرنا فاذا هو ميت، وعن النعمان بن البشير أن زيد بن حارثة خر ميتا فى بعض أزقة المدينة، فحمل وسجى، اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه، فقال محمد رسول الله النبى الامى خاتم النبئين، كان ذلك فى الكتاب الاول، ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان، ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميتا كما كان .

ذكر أخلاق الشيخ وسيرته رضى الله عنه :

كان الشيخ سيدى أبو يعقوب يوسف رحمه الله تعالى، منذ ما نشأ الاعلى قراءة القرآن، والمداومة على تلاوته، والاعتناء بتفسيره، وتفهمه والتفنن فى معانيه، والاعتناء بآياته، وبحديث رسول الله صلعم، وكلام العلماء والاولياء واتباع السنة، وتحكمها على نفسه فى أمر دينه ودنياه، وحركاته وسكناته وأكله وشربه ولبسه وخلعه ودخوله وخروجه متقللا من الدنيا مجتزئا منها باليسير، لا يرى أبدا يتحدث على شىء منها الا اذا كان جوابا لغيره، ممن يأخذ معه فى شأن نفسه، ولا يتولى قط بناء ولا غرسا، ولا اكتسب شيئا ولو أقل ما تدعوه اليه ضرورة المعاش، ولا أكل قط الا من ميراثه من أبيه الذى ورثه عن الاباء الصالحين، كما تقدم حاله مع الفقيه سيدى عبد المالك بن حبيب رضى الله عنه، وكان الشيخ رحمه الله كثير الحب فى المساكين والفقراء والصوفية خصوصا، شديد الحرص على اتباع الصالحين، رحيما باليتامى والارامل متسببا لهم فى الصدقات والفتوح من غير أن يدخل يده فى شىء من ذلك، مهتما بأمور الخاصة والعامة من المسلمين، ساعيا لسد خلاتهم وستر عوراتهم، وأدرار أرزاقهم واصلاح ذات بينهم .

الفتنة التى وقعت بين بقيوة وبنى يسغف :

حدثنى أبو عبد الله بن مغيث قال سمعت سيدى أبا يعقوب يقول، كانت الفتنة ببادس بين بقيوة وبنى يسغف، قال فكنت ادع الله فى

الصلوات أن لا يجرى بينهم دم فكانوا يهمون بالقتال، ثم أن الله يصرف ذلك من بينهم، فسمعت ابليس وجنوده فى الزقاق يقول بعضهم لبعض تعالوا نرحل من هذه المدينة طال ما هو هذا الشيخ الكذا وكذا فى هذه البلدة، ما نقضى لنا فيها الحاجة، ولا يقتتل فيها احد من هؤلاء، وكان رحمه الله اذا صلى الصبح لا يتكلم حتى يصلى صلاة الاشراق، واذا صلى العصر لا يتكلم حتى تغرب الشمس ويفطر، واذا صلى المغرب لا يزال يصلى حتى يصلى العشاء الاخيرة، ثم يركع بعد صلاة العشاء الاخيرة وينصرف الى منزله، واذا دخل شهر رمضان لا يكلم أحدا الا بالاشارة عند الضرورة، وكان فى وقته كله كأنه فى غيبة عن المخاوقين، واذا حدثته حديثا عن الدنيا وانصرفت عنه لا يبقى فى سره من حديثك شىء، وذلك لما جمع الله له من اظهاره للخلق وخلطته معهم، وتطهير قلبه ويده من حطام دنياهم، وكان لا يترك من بشاشته وبسط وجهه وبره بجميع من يرد عليه، أو يجتمع معه، وكان عنده تسليم كثير فى الاشياء، وكان حاله كذلك فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأكثر حاله فيه التغيير بهمته وتسليطها حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وكان كتاب احياء علوم الدين للامام ابى حامد الغزالى لا يزال من بين يديه يطالعه، وكان معظما للامام ابى حامد المذكور، خاضا على مطالعته كتابه المذكور، قال مؤلف هذا ما رأيت رجلا قط من أهل المكاشفة والكرامة والاحوال الصالحة الا وهو يحب الامام أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه ونفعنا به آمين، وكان يقول أنا أشهد للامام أبى حامد الغزالى بالصديقية العظمى، وقال لاصحابه اذا عرضت لكم حاجة الى الله تعالى فتوسلوا بأبى حامد الغزالى، وحكاية سيدنا الولى العالم أبى الحسن مشهورة فى قصته مع الامام أبى حامد وكتابه قال مؤلف هذا ورأيت جماعة من أهل الخير والدين ما فتح الله على قلوبهم وانهج لهم الطريق اليه الا بمطالعة كتاب الاحياء المذكور، وقال لى رجل صالح ما طالع أحد كتاب بداية الهداية، وكتاب منهاج العابدين، وكتاب احياء علوم الدين، الا وظهر خيره وفتح الله على قلبه قطعا «فان لم يصبها وابل فطل» انتهى ماقيدته من هذا المجموع من كرامات الشيخ الولى العارف سيدى

ابى يعقوب نفعنا الله به، وهذا الذى جمعته بعض من كل، ويسير من كثير، ولكنى اقتصر منه على بعض ما سمعته، وتركت من هذا المجموع ما هو غاءض، ومن الله سبحانه وتعالى أطلب العفو والصفح عما تخلد هذا الكلام من تزيين الفاظ وتصنع معان، انه ولى حميد وهو القادر عليه، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه وذريته، وأهل بيته الطيبين المباركين وسلم تسليما، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .